

حرب الخليج

مقدمات ونتائج

متولي موسى

كتاب الرائد

حرب الخليج

مقدمات ونتائج

متولي موسى

كتاب الرائد

الطبعة الأولى

محرم ١٤١٢ للهجرة / تموز - يوليو ١٩٩١ م

حقوق الطبع محفوظة للدار الإسلامية للإعلام

بون - ألمانيا الغربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتوى الكتاب

الإهداء	٧
المبحث الأول: تمهيد	١٥
أولاً: الضوابط العامة والتي يجب توفرها في هذه القضية وغيرها	
ثانياً: بعض الضوابط الخاصة بهذه القضية	
المبحث الثاني: علاقة المصائب في بلاد المسلمين بالانحراف عن الإسلام . . .	٢١
أولاً: سنة الله في العباد	
ثانياً: إستقراء الواقع القائم	
ثالثاً: وجود الصالحين لا يمنع من الهلاك	
المبحث الثالث: أمريكا «صديقة العرب» ولكنهم لم يستفيدوا منها . .	٣٣
أولاً: إجابة سؤال: هل أمريكا صديقة للعرب؟	
ثانياً: مناقشة الرأي الذي يناهز بتفهم المصالح الأمريكية في منطقة «الشرق الأوسط»	
ثالثاً: السياسة الأمريكية تقيس بسيارين وتكلم بلسانين	
المبحث الرابع: «الشرعية الدولية» و «النظام العالمي الجديد»	٤٩
أولاً: فكرة عن قيام «الشرعية الدولية» و «النظام العالمي» وأسباب الفشل	
ثانياً: «مجلس الأمن الدولي» وموقفه من قضايا العرب والمسلمين	
ثالثاً: كلمة حول «حقوق الإنسان»	
رابعاً: اختبار «النظام العالمي الجديد» بالمقارنة بين حرب الخليج وقضية فلسطين	

المبحث الخامس : أسئلة تتعلق بأحداث الخليج ٧٩

س١ : لماذا دخل الجيش العراقي الكويت؟

س٢ : هل كانت الحرب ضرورية؟ أو بعبارة أخرى هل استنفدت

كل السبل السلمية لحل القضية؟

س٣ : لمصلحة من وقعت حرب الخليج؟

المبحث السادس : من أسباب الحرب ونتائجها وآثارها ١٠١

أولاً : مخططات الأمن والسلام في المنطقة

ثانياً : بعض ما كشفتته الحرب من واقع وحقائق

ثالثاً : من نتائج حرب الخليج

المبحث السابع : أسباب القوة لا تدوم .. فانهضوا بمسؤوليتكم أيها المسلمون . ١٢٥

أولاً : قوة الأقوياء لا تدوم .. فلا تيأسوا

ثانياً : لا بد من العمل مع الأمل

ثالثاً : انهضوا بمسؤوليتكم .. أيها المسلمون

الإهداء :

إليك يا أبي أهدي جهدي في تأليف هذا الكتاب ، وفاءً ببعض حقك عليّ ؛

فقد فتحت عينيّ - لأول مرة - على حقيقة أمريكا والغرب ، وعلمتني القواعد التي آخذ على أساسها من ثقافة هذه البلاد وأترك ، وكيف أستفيد مما هو مفيد في هذه البلاد؟

كم كنت حريصاً يا أبي على أن أتزوج زوجة صالحة قبل سفري لبلاد الغرب ، وساعدتني على اتمام ذلك ، إنني ما زلت أتذكر وصاياك ساعة سفري لأول مرة بالاهتمام بزوجتي وأبنائي في بلاد الغرب . .

جزاك الله تعالى عني وعن أسرتي أجزل الخيرات ،
وبلّغك في الجنة أعلى الدرجات .

متولي

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾ (آل عمران: ١٠٢)، ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾ (النساء: ١)، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ (الأحزاب: ٧٠) أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم -، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

لقد بدأت «أزمة الخليج» - ظاهرياً - بدخول الجيش العراقي الكويت يوم ٢/٨/١٩٩٠م، ثم أعقب ذلك سلسلة من الأحداث؛ فقد شرد عشرات الآلاف ممن كانوا يعملون في الكويت، ووقعت أعمال التخريب والتدمير والسلب والنهب، وعمت الفوضى في البلاد، وفُقد الأمن وانتهكت الحرمات واستبيحت الأعراس، وفي ١٧/١/١٩٩١م اندلعت نار الحرب الجبائنة الغاشمة، وألقت آلتها الضارية بوسائل الفتك والخراب والموت والدمار؛ فتراكم الخراب فوق الخراب، والموت فوق الموت، والدمار فوق الدمار، وعمت البلوى وازدادت الويلات والآلام. . وما زالت التراكمات تزداد يوماً بعد يوم، فإذا اقتصر الحديث

على ميدان المعركة فقط لوجدنا أن آبار الزيت ما تزال مشتعلة في الكويت، وأن أضرارها الاقتصادية والصحية والبيئية لا يمكن تصورها، وأما أخبار الحقد والبغضاء بين أبناء البلاد وبين من يعيشون بين ظهرائهم من رعايا الدول التي تعاطفت مع النظام العراقي فإنها مروعة، وهذا فضلاً عن الاستباكات وأعمال التعذيب وغير ذلك من الاهانات... أما في العراق فقد انتشرت الأمراض والأوبئة، وعم الجوع والفقر في الربوع، بالإضافة إلى ما حل بشمال العراق وجنوبه من أعمال القتل والمتابعة والمطاردة..

ومما يلفت النظر أن أزمة الخليج في مراحلها المختلفة أظهرت عجز المسلمين عامة والعرب منهم خاصة وعدم قدرتهم على حل مشكلاتهم، وكشفت تفرق المسلمين وتمزق صفوفهم، واختلافهم وتضارب أقوالهم ومواقفهم، حتى الجماعات الإسلامية والحركات العاملة تباينت مواقفها، وتناقضت فتاوى العلماء وهيئات الافتاء في تكييف بعض الأحداث واكتشاف سبل حل المشكلات..

وجاءت القوات الأجنبية إلى الخليج لـ «تحرير الكويت»، وصدرت قرارات «مجلس الأمن الدولي» التي تمهد الطريق أمام بلاد العالم وقوات التحالف بقيادة أمريكا، لايقاف جرائم النظام المستبد في العراق، والذي يُخشى على المنطقة والعالم - كما رُوّجت لذلك وسائل الإعلام - من طغيانه وخطورته...!! وسرعان ما انكشف أن النظام العراقي ليس هو النظام الوحيد المستبد - الدكتاتوري - في المنطقة، فالأنظمة القائمة في الخليج هي الأخرى أنظمة استبدادية - دكتاتورية - كما تصرّح بذلك وسائل الإعلام الأمريكية والغربية، ثم صدرت الدراسات التي تثبت أن «الشرعية الدولية» و «تحرير الكويت» ما هي إلا شعارات رُفعت لتغطية تنفيذ المخطط الأمريكي - الصهيوني الذي كانت تتكشف معالمه، ويمهد له، قبل أزمة الخليج، وقبل احتلال الكويت بزمان ليس بالقصير، إذ أن العراق بعد انتهاء حربه مع إيران لم يقبل بتخفيض أعداد المجندين إلى الربع، وإيقاف تطوير مدفعيته بعيدة ومتوسطة المدى، وإيقاف أبحاثه النووية في المجال العسكري..

أي تجاوز الحد المسموح به لأي قوة عسكرية في المنطقة عدا قوة «الكيان الصهيوني»، وذلك من شأنه أن يشكل خطراً مستقبلاً على أمن «الكيان الصهيوني»، فكان لابد في منطق الولايات المتحدة الأمريكية - شرطي العالم - من ضرب هذه القوة النامية في العراق، وتدمير الأسلحة والمعدات الحربية، والقضاء على القاعدة الصناعية التي توفرت، بل وتحطيم البنية الاقتصادية التحتية، لإذلال العراق، وكسر شوكته الحالية والحيلولة بينه وبين النهوض الصناعي الذي يجعله مصدر خطر في المستقبل . . . !!!

لقد خرجت بلاد المنطقة من هذه الحرب وقد تغيرت أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية تغيراً كبيراً، ليس في صالح أبنائها ولا في صالح مستقبلها، فقد ازدادت بعض الأنظمة في تبعيتها للغرب والسير في مخططات أمريكا و«الكيان الصهيوني»؛ وقد سئل السفير الكويتي في أمريكا عن سياسة حكومته المستقبلية تجاه قضية فلسطين، فأجاب: موقفنا من القضية هو موقف الحكومة الأمريكية!!!، كما ساءت شبكة العلاقات الاجتماعية بين الشعوب بعد أن كان ذلك محصوراً في الأنظمة، ومما يبين ذلك ما تنقله وسائل الإعلام الغربية يومياً؛ وقد وقفت أمام صورة معروضة أذكر بها هنا لدلالاتها، ففي إحدى نقاط التفتيش في الكويت، أوقف جندي كويتي سيارة كان بها عائلة فلسطينية، وبعد انتهائه من أعمال البحث التي تمت بصورة غير عادية، قال رب الأسرة - وهو طبيب - : أنا طبيب أطفال، إذا كان عندك أولاد ومرضى أحدهم فأنا في الخدمة، فأجابه الجندي الكويتي: أنا أعالج أبنائي عندك . . لا . . أنا أعالجهم عند يهودي «إسرائيلي» ولا أعالجهم عندك!!!

نعم إن الأحداث الكبيرة من شأنها أن تسبب هزات عنيفة في النفوس والقلوب، تنعكس آثارها على شبكة العلاقات الاجتماعية وعلى الأخلاق والتصرفات، إلا أنني لم أتوقع أن يصل الأمر إلى ما وصل إليه من أخلاق العرب أيام الجاهلية، وقد علمنا القدوة ﷺ، حين دخل مكة فاتحاً، كيف يكون التسامح؟ إذ قال لمن كذبوا

وعذبوا وأخرجوا : اذهبوا فأنتم الطلقاء . .

إن الإسلام لا يقبل ولا يقر ما فعله الجيش العراقي بأبناء الشعب الكويتي من ترويع للآمنين وانتهاب للأموال وسرقة للذهب والممتلكات، وتدمير المنشآت والمؤسسات، واستباحة للحرمات وهتك للأعراض، وأعمال التعذيب والاهانة والقتل . .

كما أن الإسلام لا يقبل عادة الثأر وأعمال الانتقام الوحشي التي نقلت وسائل الإعلام صوراً عنها في الكويت المحررة، حيث يقوم أبناء الشعب الكويتي بهذه الأعمال مع الفلسطينيين وأبناء السودان واليمن والأردن بسبب مواقف حكوماتهم، ويطالب الإسلام بالعدل فيقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قومٍ على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ (المائدة: ٨) ، والعقاب يكون بالمثل لمن وقع منه الخطأ، أو العفو عنه ابتغاء الأجر من الله تعالى القائل : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ (النحل: ١٢٦) .

وسأحاول في هذه الدراسة المختصرة التمرض لبعض مقدمات ونتائج حرب الخليج، مجتهداً في الإجابة على عدد من الأسئلة التي تدور في أذهان كثير من المسلمين، سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد، وراجياً من الأساتذة الأفاضل والعلماء التصويب والتسديد والنصح، وشكر الله عز وجل للجميع سلفاً.

وسوف يُركّز البحث على المباحث التالية :

المبحث الأول : تمهيد

المبحث الثاني : علاقة المصائب في بلاد المسلمين بالانحراف عن الإسلام.

المبحث الثالث : أمريكا « صديقة العرب » ولكنهم لم يستفيدوا منها !

المبحث الرابع : «الشرعية الدولية» و «النظام العالمي الجديد» .
المبحث الخامس : أسئلة تتعلق بأحداث الخليج .
المبحث السادس : من أسباب الحرب ونتائجها وآثارها .
المبحث السابع : أسباب القوة لا تدوم . . فانهمضوا بمسؤوليتكم أيها المسلمون .
والله أسأل أن ينفع به ، وأن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، ولا يفوتني
أن أقدم الشكر موفوراً لكل من شجّع على إخراج هذا الكتاب بالمساهمة في
الطباعة وأعمال التقريظ والمراجعة والتصحيح .
وأخيراً أسأل الإخوة القراء دعوة بظهر الغيب ، والمعذرة عن الخطأ والتقصير . .
﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب﴾ (آل عمران : ٨)

وكتبه

متولي موسى

ترويس دورف - ألمانيا الاتحادية

صباح الاثنين ١٧ ذو الحجة سنة ١٤١١ هـ الموافق ١٩٩١/٧/١ م

المبحث الأول

تمهيد

إن القضية موضوع البحث لها علاقة قوية بالإيمان والتقوى، وعليه فلا بد من المنهجية الشرعية والعلمية عند دراستها، ولذلك سأذكر ببعض الضوابط التي يحتاج إليها المسلم في معالجة سائر القضايا الكبيرة والصغيرة، ثم أعرج على عدد من الضوابط اللازمة والتي نحتاجها في معالجة هذه القضية بالذات على النحو الآتي :

أولاً: الضوابط العامة والتي يجب توفرها في هذه القضية وغيرها:
يقول الأستاذ عصام العطار - حفظه الله - «إن علينا في مواجهة هذه الأزمة الخطيرة (أزمة الخليج) وفي كل ما نعالجه من الكبير والصغير من الأمور:

١ - أن نتقي الله عز وجل في كل كلمة، وفي كل موقف، وأن نرتفع فوق أنانياتنا وأهوائنا وعصبياتنا الشخصية والعائلية والقبلية والاقليمية وفوق منافعنا المادية، ومكاسبنا الفردية، وكل الصغائر والتفاهات، وأن نتجرد لله عز وجل أصدق التجرد

في مقاصدنا ونظرنا وتفكيرنا وأحكامنا وأعمالنا، فهذه التقوى، وهذا الارتفاع والتجرد، هي التي تمكننا من رؤية الحق، واستجلاء وجه المصلحة، والتمييز الموضوعي الصحيح بين الأمور، وهي التي تعيننا على التزام الحق وجانب المصلحة - بعد أن رأيناه - لا تنحرف بنا عنه أثره أو عصبية أو هوى من الأهواء، أو ظلم وعلو في الأرض ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾

٢ - أن نقدم الكلي على الجزئي، والعام على الخاص، وأن نجعل مصلحة الاسلام العليا، ومصلحة العرب والمسلمين العامة الشاملة، فوق المصالح الشخصية والعائلية والقطرية، وأن نقدمها عليها - إذا اختلفت المصلحتان - بالشروط التي وضعها لذلك الاسلام

٣ - أن نبتعد في تفكيرنا وأقوالنا وكتابتنا ومختلف مواقفنا عن «المنطق التبريري» الذي يجعلنا نلتمس المبررات الدينية أو المنطقية أو السياسية . . الخ لما صنعناه، أو نريد أن نصنعه، حقاً كان أو باطلاً، صواباً كان أو خطأً، بدل التفكير السليم الأمين النزيه الذي ينشد الحق والصواب، ويوصل إلى الحق والصواب، وإلى التفاهم والتلاقي على الحق والصواب

٤ - أن ننظر إلى أرضاعنا وقضايانا ومشكلاتنا نظرة عميقة واسعة شاملة متوازنة من مختلف الزوايا وبمختلف الأبعاد . . نظرة يأخذ في نطاقها الواسع الشامل كل جانب وكل جزء موقعه الطبيعي بالنسبة إلى سواه، ومكانه المناسب مع غيره من الكل، وقيمته الحقيقية فيه؛ فاحتباس النفس في جزء واحد وإهمال بقية الأجزاء، والنظر إلى الأمور من زاوية واحدة دون سائر الزوايا، يضلل عن الحقيقة الكلية الشاملة، ويوقع في الخطأ ولو سلمت النوايا، ويؤدي إلى الخلاف والتفرق، فلا بدّ لنا دائماً، ولا بدّ لنا في الأزمات التي نواجهها الآن خاصة، من تجاوز النظرة الجزئية القاصرة إلى النظرة الكلية الشاملة الكاملة، دون أي تقليل من قيمة أي زاوية من

الزوايا، وأي جزء من الأجزاء

٥ - أن نفكر تفكيراً إسلامياً واقعياً صحيحاً، فالتفكير النظري المجرد المنفصل عن الزمان والمكان والوقائع والظروف، لا يمكن من فهم الواقع الراهن، والمشكلات القائمة، والوصول إلى الحلول العملية، والعلاج الناجع

٦ - أن نرجع إلى أهل الأمانة والعلم والاختصاص فيما نجهله، أو لا نعرفه حق المعرفة، ونفهمه حق الفهم، حتى لا نصدر في آرائنا ومواقفنا عن جهل، أو معرفة سطحية وفهم سطحي للأمور

٧ - أن تتسع صدورنا وعقولنا لبعضنا البعض في الحوار، فالحوار المخلص البصير بآدابه المعروفة، هو من أهم ما يصل بنا إلى الحق والصواب، والتفاهم والتعاون. أما ضيق الصدور والعقول، وتبادل التهم والشتائم، فهو لا يوصل إلى حق وصواب، ولا إلى تفاهم وتعاون، ولا يوحد جهود العرب والمسلمين للخروج من الورطة المهلكة، ومواجهة التحديات الحقيقية المصيرية التي تواجههم من كل مكان وفي كل مجال»^(١)

ثانياً: بعض الضوابط الخاصة بهذه القضية:

وأهم هذه الضوابط ما يلي:

١ - التزام الحق والتواصي به، والحق هو ما نزل به الوحي، وأمرنا الشارع الحكيم بالتزامه والتبث عليه فهو سبب الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى في سورة العصر: ﴿والعصر * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْر * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، والحق واحد لا يتعدد لذلك قال رب العالمين: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾ (يونس: ٣٢)، فلا يجوز أبداً أن نُزل أي وثيقة مهما كان مصدرها منزلة الوحي، وبالتالي إذا خالفت المواثيق

الدولية أو الوطنية أو الحزبية ما جاء في الوحي ، فلا يجوز لمسلم أن يتبع باطلها .

٢ - إقامة العدل والاصلاح بين الناس ؛ فالعدل قيمة كبرى تتطلع إليها الفطر السليمة ، ونقيضه الظلم ، وهو فضلاً عن أنه حرام بجميع صوره وأشكاله ، فإن الفطر السليمة تأباه وترفضه ، قال عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ... ﴾ (النحل : ٩٠) ، وقد ورد عن النبي - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - فيما روى عن الله - تبارك وتعالى - أنه قال : « يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا ... » « رواه مسلم في صحيحه - باب - (تحريم الظلم) » .

ولا بد للعلماء وأصحاب الاجتهاد وقادة الحركات الإسلامية من تحديد موقف عند وقوع الأحداث ، وأن يصدر هذا الموقف عن الإسلام فلا يكون موقفاً ذليلاً يجري وراء هذا النظام أو ذاك ، كما أنه لا بد أن يكون موقفاً إيجابياً فاعلاً ، فلا يقبل من مسلم صادق الإيمان موقف سلبي عاجز ، يؤدي إلى الهروب من الساحة ، وليس من الخير أن يكتفي أهل العلم بإصدار بيانات الشتائم والسباب ومهاجمة الجميع .

أما الآيات التي ترشدنا إلى أسلوب التعامل مع القضية موضع البحث فهي الواردة في سورة الحجرات ٩ و ١٠ ، والتي يقول الله عز وجل فيها : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقاتلُوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾

٣ - ضرورة إدراك جذور وأبعاد هذه الأزمة : إذا كان من المسلمات أن أزمة كبرى ، كأزمة الخليج ، لا يمكن أن تفهم ، أو تعالج ، ابتداء مما حدث في ٢/٨/١٩٩٠م ، كما أن استدعاء القوات الأجنبية ، لا يمكن أن يفهم كأنه وليدة ردة

فعل لحدث بعينه ليس إلا، فالأحداث الكبرى هي دائماً وليدة عوامل كثيرة متراكمة.. وللمدة تاريخ طويل، ولها أسباب موضوعية وعميقة، ولها أسباب ظاهرة ومباشرة.. لها تاريخ ربما يمتد عشرات السنين؛ وإن مثل هذه الأزمات الكبرى لا يمكن أن تنحصر فيها المسؤولية - لا سيما حين تكون بين أشقاء - في جهة واحدة فحسب، بينما تكون الجهة الأخرى بيضاء الصفحة لا يأتيتها باطل من مكان^(٢) إذا أدركنا هذه المسلمة فإننا لا نقع في خطأ تبسيط المشكلة، وسنجهتد في إعطاء الدراسة حقها من الوقت والجهد المناسب.

٤ - التمسك بالثوابت التي ألزم الإسلام بها أو ندب إليها: ومن ذلك: وحدة المسلمين وعدم تفرقتهم، وتحقيق مبدأ الولاء والبراء على أساس الانطلاق من الشريعة الإسلامية، وتجسيد الشعور بالانتماء للدين الواحد والمصير الواحد، والنصوص الواردة في هذا الشأن كثيرة وسأكتفي هنا بالتذكير ببعضها:

أ - أمرت الشريعة بصيانة الحقوق والحرمان، ووفرت الحماية لكل واحد من أبناء الأمة من دم ومال وعرض، واعتبر الإسلام كل قول أو عمل أو سلوك فيه عدوان على أي من هذه الحقوق والحرمان أو خدش، محرماً تحريماً يختلف في الدرجة، حسب ما ينجم عنه من ضرر مادي أو أدبي، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكنَّ خيراً منهنَّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ * يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحِبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله توابٌ رحيم﴾ (الحجرات: ١١ و ١٢).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه» (رواه مسلم وغيره)، وقال: - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - في حديث آخر: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في

شهركم هذا في بلدكم هذا» (رواه مسلم وغيره)، وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (رواه البخاري ومسلم وغيرهما). وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض، ولا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه، ولا بجريرة أخيه»^(٣)

ب - أمة التوحيد أمة واحدة، وحدها الايمان، وصبتها شريعة الإسلام بمواصفات خاصة تميزها عن سواها من الأمم الأخرى، وحذر الإسلام من التفرقة لأنها من أسباب الفشل وذهاب الريح، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَمٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٢)؛ وقال عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ (آل عمران: ١٠٣) وقال تباركت أسماؤه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)، وقال عز من قائل: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦).

ج - وأخيراً: الولاء والبراء أصل من أصول ديننا، فالولاء في شرعنا له ضوابطه، فلا ولاء من مؤمن لكافر بحال من الأحوال، إنما يكون البراء من الكافر، أما المؤمن فله من أخيه المؤمن الولاء، قال تعالى: ﴿فَدَكَانَتْ لَكُمْ أُسُوءَ حَسَنَةٍ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (المتحة: ٤). وقال عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١)

(١) مجلة «الرائد»، تصدرها الدار الإسلامية للاعلام بون ألمانيا، العدد ١٣٠ ص ٣ و ٤
(٢) مجلة «الإنسان» تصدرها دار أمان للصحافة والنشر، باريس - فرنسا - العدد ٣، ص ٤
(٣) رواه النسائي عن ابن عمر، راجع صحيح الجامع الصغير وزيادته، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت ودمشق، سنة ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م، حديث رقم ٧١٥٤

المبحث الثاني

علاقة المصائب في بلاد المسلمين بالانحراف عن الإسلام

من المسلم به أن إعلان الإيمان بالله تعالى والاقرار بأن شرعه هو الحق، وأن حكمه هو العدل، لا يستقيم مع عدم تطبيق ذلك في واقع الحياة، قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ (النساء: ٦٥)، وقال سبحانه: ﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ (الأحزاب: ٣٦)،

أولاً: سنة الله في العباد:

ولقد لفتنا الله عز وجل لسنة اجتماعية ماضية في الأمم والشعوب مؤداها: أن ما يصيب العباد وما ينزل بالبلاد من مصائب وبلاء وفساد مرجعه إلى الناس أنفسهم وما عملوا من معاص وانحراف عن منهج الحق؛ قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبةٍ فيما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير﴾ (الشورى: ٣٠)، وإنني أعتقد أن ما نحن فيه من وهن وتشتت وانقسام، إنما هو بسبب انحرافنا وبعدنا عن منهج الله تعالى، واتباع الأهواء والسير وراء الشهوات والملذات ومتع الدنيا الزائلة، وعدم الالتفات

إلى ما بينه الله عز وجل في قوله: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا﴾ * ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى﴾ (طه: ١٢٤ و ١٢٦)، وقد خاطب الله تبارك وتعالى الرسول - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - وفي ذلك تحذير للأمم، فقال: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من وليٍ ولا نصير﴾ (البقرة: ١٢٠).

كما ورد في السنة النبوية ما يشرح هذه السنة الاجتماعية ويبينها، نذكر هنا منها حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم -: «يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن:

- لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم.
- ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان.
- ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا.
- ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلع عليهم عدواً من غيرهم، فياًخذ بعض ما في أيديهم.
- وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم»^(١)

ثانياً: استقرار الواقع القائم:

لو استقرأنا واقع المسلمين عامة، والعرب منهم خاصة في هذا الزمان، لوجدنا كثيراً من هذه المعاصي والمنكرات، فأنظمة الحكم في بلاد المسلمين لا تقوم على مبدأ الشورى، فهي أنظمة استبدادية يحميها ويثبت وجودها السلاح، ومن يتجرأ على بيان عيوبها وخطورها يعرض نفسه للمحاكم العسكرية أو الاستثنائية في أفضل الأحوال!!! ودائرة الفساد في بلاد العرب والمسلمين تتسع من فترة لأخرى -

وتختلف في حجمها من بلد لآخر بحسب بعد النظام عن منهج الله عز وجل -، فالزنا والرشوة والربا وأكل أموال الناس بالباطل وشرب الخمر وانتشار أفلام الجنس وفساد وسائل الإعلام وعلمانية مناهج التعليم، والعصبية العرقية والقومية والوطنية.. الخ مما قال عنها رسول الله - صلى الله تعالى عليه واله وسلم - «من قاتل تحت راية عمية»^(٢)، يدعو إلى عصبية، أو يغضب لعصبية فقتلته جاهلية»^(٣) منتشرة في أرجاء البلاد، حيث يسود الظلم بجميع صورته وأشكاله. وتجد المذاهب الهدامة أنصاراً لها وأتباعاً في كل مكان!!!.

ومن العجيب أن تجد عند كل نظام ملفات بالخير والشر لكل من تريد، محفوظة لوقت الحاجة إليها وتنتظر التعليمات، ففي فترات قصيرة تفتح الملفات ضد خصم بعينه، كان قد سبق المديح له والثناء عليه في فترة سابقة، ففي أثناء حرب العراق مع إيران، كانت وسائل الإعلام الغربية والخليجية تثنى على النظام الحاكم في العراق، حتى صدرت البيانات من بعض المؤسسات الإسلامية بتأييد نظام صدام حسين والدعاء له بالنصر على العدو الرافضي «أي نظام الحكم في إيران»، كما قُدمت للنظام العراقي آنذاك المساعدات المالية والعسكرية، وكان الحديث عن صدام حسين بأنه لديه توجهات إسلامية، وشارك ممثلون من بلاد الخليج بعدد من المؤتمرات التي عقدت في بغداد لعلماء مسلمين..

وسرعان ما انقلبت الحال عندما دخل الجيش العراقي الكويت، وإذ نفس وسائل الإعلام تفتح ملفات النظام البعثي، العلماني، الاستبدادي، الظالم، وطبعت الكتب التي تعلن فظائع النظام وكفره على نفقة بعض الحكومات الخليجية، ووزعت أعداد هائلة منها مجاناً في شتى أنحاء المعمورة، ولم تُقَصِّر وسائل الإعلام العربية والأجنبية في التهويل من خطر النظام العراقي، ليس فقط على منطقة ما سمي «الشرق الأوسط» وإنما على جميع بلاد العالم وخاصة إذا امتلك القنبلة النووية!!!

وفي المقابل كان النظام العراقي أثناء حربه مع إيران يتحدث عن العروبة والأخوة، وكانت الزيارات والمؤتمرات التي تتعاقب فيها رموز الأنظمة وتقام لهم الاستقبالات والولائم، ثم لما دخل الجيش العراقي إلى الكويت واكبته الحديث عن فساد وظلم الأنظمة الخليجية، وفتحت ملفات أمراء السعودية والخليج . . ونسي هؤلاء وأولئك أن التاريخ يسجل هذه المواقف والأقوال ويحتفظ بها في ذاكرته، وأن ما يسطره القلم أو يبثه المذياع والرأي لا يضيع بمرور الزمن، هذا فضلاً عن أن ما ظهر منه في الدنيا وما لم يظهر سينشر يوم الحشر، يوم تبلى السرائر، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . .

وإن مما أوقع عامة المسلمين في حيرة، أن هذا السلوك لم يقتصر على أنظمة الحكم فقط، وإنما وقع فيه عدد من العلماء الذين كان ينتظر منهم التزام الحق والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتسع المقام هنا لاستعراض عدد من المواقف ولكنني سأكتفي بمثال واحد ورد في مجلة «المجلة» العدد رقم ٥٩٣ بتاريخ ١٩ - ٢٥ / ٦ / ١٩٩١ م، حيث نشر مقال للدكتور / عبد الله بن محمد الرفاعي - الأستاذ المساعد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان: «السعوديون والريادة في تطبيق الشريعة الإسلامية» وجعل في عنوان المقال عبارة: «الملك فهد: التزام متكامل بالشريعة لا تردد فيه»

ونظراً لأهمية ما جاء في هذا المقال في الكشف عن مثل هذه النوعية من العلماء، سأضع المقال بالكامل أمام الأخوة القراء، وحتى لا يقال أن الاجتزاء من الموضوع أدخل بالمعنى وأتهم بأنني حملت الدكتور وعباراته ما لا تحتل أو تأولت مغرضاً - عافانا الله من مثل ذلك -، نص المقال:

«في الوقت الذي تراجعت رموز الشريعة الإسلامية في الكثير من البلدان الإسلامية نتيجة الموجة العلمانية واللاحادية في القرن الثامن عشر الميلادي، كان

آل سعود يعيدون بناء الدولة الإسلامية في جزيرة العرب على أسس وهدى الكتاب والسنة، وكانت اللجنة الأولى على يد الامام محمد بن سعود الذي ساند دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومع أن مسيرة الدولة الإسلامية واجهت مصاعب كبيرة في مقدمتها التشكيك فيها وفي إمكانية قيامها والسخرية من فكرتها، إلا أن آل سعود واصلوا مسيرة إرساء دعائم الدولة الإسلامية فكانت الدولة السعودية الثانية الثالثة التي لا تزال تقوم على شريعة محمد بن عبد الله ﷺ.

وما أقام به السعوديون منذ ما يزيد على مائتي عام أدركته بعض الشعوب الإسلامية فأخذت تسعى لأن تحكم بالإسلام كما الحال في المملكة العربية السعودية، ولذلك نقول الحقيقة إذا ذكرنا أن المملكة العربية السعودية هي دولة الشريعة، والدولة الوحيدة من بين دول العالم الإسلامي التي تطبق شريعة الله وتحكم بالقرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة في كل شأن من شؤونها، فهي قامت على الإسلام قولاً وعملاً وعقيدة ومنهج حياة.

ومنذ قامت الدولة السعودية الحديثة على يدي الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، حكمت بشريعة الله، واعتبرتها الحكم العدل في أمور العباد الذي لا ينافسه منافس، مختارة بذلك السير على الصراط المستقيم غير عابثة بالضغط والحملات والدعاوى والدعوات المضادة والافتراءات، فما كان لها إلا مزيد من القوة والنعمة والأمن والرخاء.

والدولة السعودية الحديثة أقامت نظاماً إسلامياً نموذجياً جمع بين الدين والدولة وحكمت بالإسلام وأقامت الحدود. هذا الالتزام بالإسلام من جانب السعوديين خرج في شكل التزام متكامل بالإسلام من خلال النظرة السعودية الشاملة إلى العصر، في ظروفه وحساباته وتداخلاته وتفاعلاته وقضاياها وآفاقه الاجتماعية

والسياسية والاقتصادية والثقافية والاعلامية وتطوراتها التقنية، وهو ما سجل للمملكة وضعاً فريداً في العالم اليوم.

وإن كان للملك المؤسس دور الريادة في إرساء دعائم هذا النموذج الفريد ومن بعده الملك سعود والملك فيصل والملك خالد رحمهم الله، إلا أن التاريخ يشهد لخدام الحرمين الشريفين بالحرص والسعي الجاد دون كلل أو تهاون في تدعيم أركان هذا النموذج الفريد من نوعه في عالم اليوم، في زمن كثر فيه الأعداء وزاد الحساد والطامعون، ولعل أكبر دليل على ذلك ما قام به من تغيير لقب صاحب الجلالة الملك المعظم بلقب فيه التواضع لله والحب لدينه والفخر بخدمة المقدسات والاعتزاز بخدمة المسلمين، وكذلك التوسيع الكبير للمسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف وتطوير مرافق المشاعر المقدسة بما يحقق راحة حجاج بيت الله الحرام.

والشواهد على أن دولة الشريعة حقيقة واقعة لا خيال فيها كثيرة لعل من أهمها القضاء الشرعي حيث قام الملك المؤسس رحمه الله تعالى بتعيين القضاة الشرعيين يحكمون بين الناس بالعدل، وفقاً للكتاب والسنة في جميع شؤون حياتهم على مختلف مجالاتها، وخدمة لهذا الغرض أنشئت المحاكم الشرعية التي تنفرد بالحكم بين الناس في المملكة ووضع لها التنظيم الملائم والمحقق لأغراضها، فقد انشئت هيئة للتمييز تنظر في الطعون المقدمة ضد الأحكام التي تصدرها المحاكم الشرعية الأولية.

وحرصاً على العدل بين الناس أنشأت الدولة مجلس القضاء الأعلى ليكون مرجعاً لهيئة التمييز يضبط عملها وفق شرع الله إذا ما حدث أي نوع من اللبس أو الضرر، ولم يكتف آل سعود بذلك بل أنشئت هيئة لكبار العلماء ينضم إليها من بلغ درجة الاجتهاد، وتقوم بالبت في الأمور التي تتطلب اجتهاداً وتلك التي يحيلها ولي

الأمر والتي تتطلب اجتهاداً شرعياً تقتضيه مصلحة الأمة، وتعبيراً عن اهتمام ولي الأمر وتقديره لأداء هؤلاء العلماء وغيرهم خصص يوماً في كل أسبوع يجتمع معهم فيه فيتدارسون أحوال الأمة بما يحقق الخير والسلام لها.

ومما انفرد به السعوديون على مدى العصور إنشاء جهاز حكومي يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكل منظم ومدعوم من أعلى سلطة في الدولة. وضمن الالتزام الشمولي بالشرعية الإسلامية حرص خادم الحرمين الشريفين على ضبط الإعلام السعودي بضوابط الشريعة الإسلامية، إذ تم إنشاء المجلس الأعلى للإعلام برئاسة الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، فكان من ثمراته وضع السياسة الإعلامية التي تمثل الإطار العام الرسمي الذي يحدد أهداف الإعلام في المملكة ويضع الخطوط لمساره.

وضمن مرتكزات النظام السياسي السعودي المستمد من الشريعة الإسلامية، الشورى الإسلامية، وهذا النظام أصيل في السياسة السعودية، والدليل على أصالة هذا المبدأ مجالس الحكم المفتوحة التي من خلالها يستطيع أي شخص في المملكة مقابلة الملك مباشرة في أيام محددة من كل أسبوع دون واسطة أو متطلبات أخرى، وهذا يوفر للحاكم في السعودية الاحساس بنبض المواطن ويوفر سرعة الاستجابة لاحتياجاته بالإضافة إلى الأيام المحددة للعلماء والمفكرين والوجهاء في كل أسبوع، وهذا الأمر ينطبق على أمراء المناطق والوزراء، وقد أثبتت الوقائع التاريخية القديمة والحديثة التزام قيادة هذا البلد بمنهج الشورى، ولعل أحدها قرار استدعاء القوات الصديقة للدفاع عن المملكة حيث استشار خادم الحرمين الشريفين هيئة كبار العلماء الذين دعموا قراره الحكيم.

وبالرغم مما يتمتع به المجتمع السعودي من مستوى معيشي مرتفع إلا أن حكومة خادم الحرمين الشريفين التزمت بها بشمولية الشريعة الإسلامية، قامت بوضع

التنظيمات الادارية التي تكفل للإنسان السعودي الحياة الحرة السعيدة إذا كان معوقاً عن أداء العمل والكسب الحر، فقد أنشئ جهاز اداري يعنى بهذا الجانب يمول من الميزانية الحكومية، كما تدعم المملكة إنشاء الجمعيات الخيرية التي تقدم خدماتها التكاملية داخل المملكة وخارجها مما ساعد الحكومة على تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي على نطاق الأمة الإسلامية، وقد شهد هذا الجانب بالذات دعماً كبيراً بدون حدود من خادم الحرمين الشريفين ومتابعة دائمة ومبادرات متكررة من أمير منطقة الرياض سلمان بن عبد العزيز رئيس اللجان الشعبية المساندة للمجاهدين في فلسطين وأفغانستان واللاجئين في السودان والصومال وبنغلاديش والعراق.

إن الدولة السعودية الحديثة تمثل النموذج الإسلامي الفريد الذي يستحق التقدير، والثناء من كل مسلم غيور في زمن يخجل فيه الكثير من ذكر انتمائه إلى هذا الدين القويم.

أمثلة من تطبيق الشريعة الإسلامية في بعض البلدان الإسلامية

الجزائر	مصر	باكستان	السعودية	السودان
موجودة	موجودة	موجودة	موجودة	موجودة
لا	لا	لا	نعم	لا
نعم	نعم	نعم	ممنوع	نعم
متوفر	متوفر	متوفر جزئياً	ممنوع تماماً	متوفر
المساجد				
توقف الأعمال وقت الصلاة				
اختلاط الجنسين في التعليم والعمل				
المشروبات الروحية				

انتهى .

وأظن أن المقال من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تعليق. !!!
وللإنصاف أقول: إن كثيراً من علماء السعودية وخطباء المساجد فيها، وأعداد
كبيرة من المثقفين والمفكرين يستنكرون مثل هذه الكتابات بل وينصحون
للحكام، وقد تقدم أكثر من ٤٠٠ منهم إلى الحكومة السعودية بالوثيقة التالية:

«خادم الحرمين الشريفين وفقه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:
فقد تميزت هذه الدولة بإعلانها تبني الشريعة الإسلامية. وما زال العلماء وأهل
النصح يسدون لولاتهم ما فرضه الله عليهم من النصيحة، وإننا في هذه الفترة
العصيبة التي أدرك فيها الجميع الحاجة إلى التغيير نجد أن أوجه ما تتوجه إليه
العزائم هو إصلاح ما نحن فيه مما جلب علينا هذه المحن، ومن أجل ذلك فإننا
نطالب ولي الأمر بتدارك الأوضاع التي تحتاج إلى الإصلاح في النواحي التالية:

- إنشاء مجلس للشورى للبت في الشؤون الداخلية والخارجية يكون أعضاؤه من
أهل الاختصاصات المتنوعة المشهود لهم بالاستقامة والاخلاص مع الاستقلال
التام دون أي ضغط يؤثر على مسؤولية المجلس الفعلية.

- عرض وصياغة كل اللوائح والأنظمة السياسية والاقتصادية والإدارية وغيرها
على أحكام الشريعة الإسلامية ومن ثم إلغاء كل ما يتعارض معها، وينم ذلك من
خلال لجان شرعية موثوقة ذات صلاحية.

- أن تتوافر في مسؤولي الدولة وممثليها في الداخل والخارج استقامة السلوك مع
الخبرة والتخصص، والاخلاص والنزاهة، وإن الإخلال بأي شرط من هذه الشروط
لاي اعتبار كان تضييع للأمانة وسبب جوهري للاضرار بمصالح البلد وسمعته.

- تحقيق العدالة والمساواة بين جميع أفراد المجتمع في أخذ الحقوق وأداء
الواجبات كاملة دون محاباة للشريف أو منة على الضعيف، وأن استغلال النفوذ أياً

كان مصدره في التملص من الواجبات أو الاعتداء على حقوق الآخرين سبب لتمزق المجتمع والهلاك الذي أُنذر به النبي ﷺ.

- الجدية في متابعة ومحاسبة كل المسؤولين بلا استثناء، لا سيما أصحاب المناصب الفعالة، وتطهير أجهزة الدولة من كل من تثبت ادانته بفساد أو تقصير بصرف النظر عن أي اعتبار.

- إقامة العدل في توزيع المال العام بين جميع طبقات المجتمع وفئاته، وإلغاء الضرائب وتخفيف الرسوم التي أثقلت كواهل الناس وحفظ موارد الدولة من التضييع والاستغلال، ومراعاة الأولوية في الصرف على الاحتياجات الملحة، وإزالة كافة أشكال الاحتكار والتملك غير المشروع، ورفع الحظر عن البنوك الإسلامية وتطهير المؤسسات المصرفية العامة والخاصة من الربا الذي هو محاربة الله ورسوله وسبب لمحق البركة.

- بناء جيش قوي متكامل مزود بأنواع الأسلحة من مصادر شتى مع الاهتمام بصناعة السلاح وتطويره ويكون هدف الجيش حماية البلد ومقدساته.

- إعادة بناء الاعلام بكافة وسائله وفق السياسة الاعلامية المعتمدة للمملكة لخدم الإسلام، ويعبر عن أخلاقيات المجتمع ويرفع من ثقافته، وتنقيته من كل ما يتعارض مع هذه الأهداف، مع ضمان حريته في نشر الوعي من خلال الخبر الصادق والنقد البناء بالضوابط الشرعية.

- بناء السياسة الخارجية لحفظ مصالح الأمة بعيداً عن التحالفات المخالفة للشرع وتبني قضايا المسلمين مع تصحيح وضع السفارات لتتنقل الصبغة الاسلامية لهذا البلد.

- تطوير المؤسسات الدينية والدعوية في البلاد ودعمها بكل الامكانيات المادية

والبشرية وإزالة جميع العقبات التي تحول دون قيامها بمقاصدها على الوجه الأكمل.

- توحيد المؤسسات القضائية ومنحها الاستقلال الفعلي والتام وبسط سلطة القضاء على الجميع وتكوين هيئة مستقلة مهمتها متابعة تنفيذ الأحكام القضائية .

- كفالة حقوق الفرد والمجتمع وإزالة كل أثر من آثار التضييق على إرادات الناس وحقوقهم بما يضمن الكرامة الإنسانية حسب الضوابط الشرعية المعتمدة .

ويرد في مؤتمرات إسلامية توصيات لعلماء من بلاد مختلفة تؤكد فقدان تطبيق الإسلام في عدد من جوانب الحياة في البلاد الإسلامية، ويطالبون المسؤولين بتطبيق الشريعة الإسلامية، ومن ذلك على سبيل المثال: البند التاسع من مقررات المؤتمر الإسلامي العالمي، الذي دعت إليه رابطة العالم الإسلامي وانهقد في الفترة من ٢١ - ٢٣ صفر سنة ١٤١١هـ الموافق ١٠ - ١٢ سبتمبر سنة ١٩٩٠م، وقد جاء فيه: «يناشد المؤتمر الحكومات الإسلامية بتطبيق الشريعة الإسلامية في كل مناحي الحياة القضائية والسياسية والاقتصادية وغيرها مع العناية باقامة الشورى في حياة المسلمين وتطهير المجتمعات الإسلامية من آفة الربا وتنقية وسائل الإعلام مما يخالف تعاليم الإسلام»^(٤)

ثالثاً: وجود الصالحين لا يمنع من الهلاك:

ولا يفوتني في ختام هذا المبحث أن أذكر: بأن وجود المؤمنين الصالحين في البلاد العربية والإسلامية لا يمنع من عقاب الله تعالى إذا انتشر الفساد وعمت المنكرات، إذا لم يقم أهل العلم والصلاح بواجب تغيير المنكر والأمر بالمعروف، فقد ورد في سنن أبي داود عن قيس، قال: قال أبو بكر، بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أيها الناس، إنكم تقرأون هذه الآية، وتضعونها على غير موضعها ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ (المائدة: ١٠٥)، وإنا سمعنا النبي ﷺ

يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب»
وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدر
على أن يغيروا، ثم لا يغيروا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب»^(٥)
وقد سألت أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله تعالى عنها - النبي صلى
الله تعالى عليه وآله وسلم فقالت -: أنهلك وفيما الصالحون؟ فقال النبي - صلى الله
تعالى عليه وآله وسلم -: «نعم إذا كثرت الخبث» (رواه البخاري ومسلم) والله عز وجل
يقول: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ (الأنفال: ٤٥) .
فهل من رجعة صادقة إلى الله تعالى قبل فوات الأوان؟ .

-
- (١) حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره، راجع صحيح الترغيب والترهيب، اختصار وتحقيق
الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ج ١ حديث رقم ٧٦١ ص ٣٢٠ .
- (٢) «راية عمية» في النهاية: قيل هو فعيلة، من العماء، الضلالة، كالقتال في العصبية والأهواء،
وهي الأمر الذي لا يستبين وجهه وهو كناية عن جماعة مجتمعين على أمر مجهول لا يعرف
أنه حق أو باطل .
- (٣) راجع صحيح سنن ابن ماجه تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف مكتب التربية
العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، حديث رقم ٣٠٩٤ .
- (٤) مجلة «الإنسان» دار أمان للصحافة والنشر باريس - فرنسا، العدد الثالث، ديسمبر - كانون
الأول سنة ١٩٩٠، ص ٩ .
- (٥) راجع صحيح سنن أبي داود، تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف مكتب
التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، حديث رقم ٣٦٤٤ .

المبحث الثالث

أمريكا «صديقة العرب» ولكنهم لم يستفيدوا منها!

ما زال كثير من المسؤولين في البلاد العربية يعتقدون أن أمريكا صديقة للعرب، ويرى كثير من المثقفين العرب أننا لم نستفد من التجارب، وبالتالي لم نستفد من إمكانات أمريكا الحضارية الهائلة لأن الدول العربية لم تبد تفهمها للمصالح الأمريكية في المنطقة. . وسأحاول مناقشة هذه الآراء في هذا المبحث كما يلي:

أولاً: إجابة سؤال: هل أمريكا صديقة للعرب؟!

نعم ما يزال عدد من مراكز القرار في العالم العربي يعلنون جهاراً نهراً أن أمريكا صديقة للعرب! . وقد كان هذا الكلام يجد رواجاً يوم كانت سياسة الاستقطاب إلى أحد المعسكرين قائمة، أما وقد تخلت روسيا عن سياستها الاستقطابية وأخذت بسياسة الوفاق، فقد كان الأمل يراودنا في أن تعيد الدول العربية قراءتها للواقع، وأن تبدأ بتحرير إرادتها من السيطرة الأمريكية والغربية الجشعة. وهالنا أن نرى تمكيناً أكبر للوجود الأمريكي في بلادنا، ثم يطلب من شعبنا أن نعتبر أمريكا

صديقة للعرب!

ونحن حين نقرر أن أمريكا ليست صديقة للعرب، فإننا لا ننطلق من حكم عاطفي تجاه موقف محدد، فسياسة الحكومات الأمريكية قائمة على موقف معادٍ، وأصبح هذا عرفاً متوارثاً في السياسة الأمريكية، وقد شهد لهذه الحقيقة رجل شغل منصباً سياسياً كبيراً في مصر. فقد نشرت مجلة «المجلة» التي تصدرها الشركة السعودية للأبحاث والتسويق الدولية، في عددها رقم ٣٠ الصادر في ٦ - ١٢/٩/١٩٨٠م، نشرت هذه المجلة مقابلة مع إسماعيل فهمي أجاب فيها على عدد من الأسئلة المتعلقة بموقف أمريكا من البلاد العربية، وفي صدر المقابلة عرّفت المجلة بإسماعيل فهمي فقالت:

«يعتبر السيد إسماعيل فهمي، نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المصري السابق، شاهداً رئيسياً على خروج السوفييت من مصر قبل حرب ١٩٧٣م، ودخول الأمريكيين إليها بعد الحرب، فقد حضر فهمي المحادثات المهمة التي جرت مع المسؤولين السوفييت، وعلى رأسهم بريجنيف، قبل القطيعة، ثم شارك في كل المفاوضات التي جرت بين مصر و«إسرائيل» بإشراف الدكتور كيسنجر ثم بإشراف خلفه سايروس فانس، حتى استقالته من منصبه في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧م بسبب زيارة الرئيس السادات للقدس..»

وطوال هذه الفترة، اعتبر المراقبون اسماعيل فهمي أقرب إلى الأمريكيين منه إلى السوفييت، وقيل عنه أنه أحد مخططتي التقارب المصري - الأمريكي، الذي تحول بعد زيارة القدس واتفاقات كامب دايفيد إلى تحالف مصري - أمريكي «إسرائيلي».

لكن أمام أخطاء السياسة الأمريكية في «الشرق الأوسط»، ومواقف واشنطن السلبية تجاه القضايا العربية، قرر اسماعيل فهمي أن يكشف حقيقة النيات

والأعمال الأمريكية، انطلاقاً من تجربته الطويلة معهم ومعلوماته عن الوضع الحالي لسياسة واشنطن.

واختار فهمي «المجلة» لتكون منبراً لما يمكن اعتباره «محاكمة أميركا» تحت شعار أن أميركا هي عدوة العرب، وأن قراراتها السياسية المتعلقة بالمنطقة تصنع في تل أبيب لا في واشنطن.

وأهم ما في هذه المحاكمة، أن اسماعيل فهمي يكشف سرّاً «خطيراً»، وذلك للمرة الأولى، يقول، فهمي أنه خلال اجتماعاته بالرئيس كارتر في ايلول / سبتمبر ١٩٧٧م، قال له كارتر بالحرف الواحد: «لا أستطيع أن أضغط على إسرائيل لأنني إذا حاولت الضغط فسيعتبر ذلك انتحاراً سياسياً بالنسبة إلي».

خطورة هذ الكلام أن مسؤولاً عربياً بارزاً كفهمي ينقله، حرفياً، على لسان رئيس أميركا، وخطورته أنه يتضمن اعترافاً واضحاً من كارتر بأنه لا يستطيع الضغط على إسرائيل، فإذا كان حل أزمة «الشرق الأوسط» مرتبطاً بعبارة «الضغط على إسرائيل» فإن هذا الحل يصبح سراباً أو أمراً مستحيلاً إذا كان رئيس أميركا يقول بأنه لا يستطيع الضغط.

وننقل من المقابلة أجوبة اسماعيل فهمي على ثلاثة أسئلة تتعلقها بموضوعنا هنا:

■ لكن هل تعتقد أن واشنطن ترغب أو تقدر أن تزود العرب بنوعية التسليح نفسه الذي تزود به «إسرائيل»؟

● يبدو أن أميركا بعدما حدث في إيران وأفغانستان استيقظت، ثم اتضح أنها لم تتعلم الدرس، وبرغم أن أميركا بدأت تنظر إلى منطقة الخليج العربي ودولها على أنها ذات حيوية «استراتيجية»، إلا أنها بدأت في ترجمة هذا الاهتمام بأسلوب خاطيء. فعندما أعلنت واشنطن قرار تزويد السعودية بطائرة «ف ١٦» لم تكن

صادقة في نياتها تجاه هذه العملية فقامت بإجراء تعديلات أساسية في قدرات هذه الطائرة، سواء في قدرة النيران أو قوة استطلاع الرادار أو مدى الطيران الذي تم تخفيضه من ألف ميل إلى ٤٧٠ ميلاً، حدث هذا في الوقت الذي تحصل «إسرائيل» على الطائرة نفسها بكل تسليحها المتفوق، برغم أن السعودية تدفع ثمنها نقداً من خزائنها بينما ستقوم واشنطن بدفع ثمن الصفقة «الاسرائيلية» من الخزنة الأمريكية.

أما الخطأ الثاني الذي ارتكبه أمريكا مؤخراً، فهو قيامها بإنشاء حزام من القواعد في شكل سلسلة دائرية حول منطقة الخليج العربي، إن هذه القواعد في رأيي ليست من أجل حماية دول المنطقة من النفوذ السوفيتي، كما يقول البعض، ولكنها من أجل أن تختنق أمريكا دول الخليج وتنقض عليها.

■ لماذا هذا اليقين الكامل أن أمريكا ستظل تقف ضد أي قرار يدين «إسرائيل»؟
● ببساطة شديدة، لأن القرار الأمريكي حول أزمة «الشرق الأوسط» لا يتخذ في واشنطن، بل يتخذ في تل أبيب.

■ أعود إلى سؤالي الأول: هل أمريكا - بعد تحليلك هذا صديقة أم حليفة أم معادية للعرب؟

■ إذا لم تعد لك أمريكا خطتها الحالية بالنسبة إلى الحل الشامل لقضية «الشرق الأوسط» فإن ذلك يعتبر بلا شك عملاً عدائياً ضد العالم العربي والإسلامي. والفصل في ذلك هو تصويت أمريكا في مجلس الأمن حول قضية القدس.

وأنهى فهمي حديثه الطويل قائلاً: نعم أميركا معادية للعرب!

هذه شهادة رجل غير محسوب على التيار الإسلامي، وهي تنبع مما رآه ولمسه وراء الكواليس من وجه كالح للولايات المتحدة الأمريكية، والغريب في الأمر أن جهات دينية رسمية في العالم العربي تردد ما يقوله السياسيون المرتبطون بأمريكا،

فتزعم كما يدعون بأن أمريكا بلد صديق، وكأن هؤلاء لا يرون ما تفعل الولايات المتحدة الأمريكية - على سبيل المثال - في فلسطين، وما تقدمه من دعم عسكري ومادي وسياسي لدولة «الكيان الصهيوني» التي قامت أمريكا بمساعدة الغرب في زرعها في قلب العالم الإسلامي!! .

ثانياً: مناقشة الرأي الذي ينادي بتفهم المصالح الأمريكية في المنطقة!

قرأت رأياً للسيد فهد طلال خيطان - من الكويت - نشرته صحيفة الشرق الأوسط في العدد ٤٥٦٧ بتاريخ ١٩٩١/٥/٣١ م ص ١٣ بعنوان: «هل يتعلم العرب من التجارب؟» وهو عبارة عن تعليق على مقال نشر بعنوان: «العرب يعيدون اكتشاف أمريكا» المنشور في العدد ٤٥٤٣ من «الشرق الأوسط» أيضاً، ونظراً لأن الأفكار الواردة في المقال تمثل تياراً متنامياً في البلاد العربية وخاصة بلاد الخليج، فقد رأيت أن نشر أهم فقرات هذا المقال والنظر فيها لا يخلو من فائدة، والله أسأل أن يلهمنا الرشد والثبات على الحق إنه سميع مجيب..

١ - المقال

«طالعنا صفحات «الرأي» في الشرق الأوسط، العدد ٤٥٤٣ وتاريخ السابع من مايو (أيار) الحالي بمقال أدينا وكاتبنا الكبير غسان الإمام تحت عنوان «العرب يعيدون اكتشاف أمريكا».

استطاع الكاتب أن يجيب على التساؤل الذي يجيش في أعماق الكثيرين من المثقفين العرب حول ماهية أمريكا وهل الأخذ والعطاء والتعامل معها يعود بالخير على البلاد العربية والإسلامية؟.

يؤكد الكاتب على أن كثيراً من العرب الذين تفهموا سياسات أمريكا أو عارضوها هم اليوم يحاولون إعادة النظر في فهمهم لهذه القوة العالمية، وذلك لقدرتها على تحقيق أهدافها، لما تتمتع به من قوة اقتصادية وسياسية وعسكرية وإعلامية وعلمية، ولأن كل الذين وقفوا في وجهها لم يحصدوا غير المتاعب.

فهل هذا التفهم للسياسات الأمريكية، وإن كان لم يصل مستوى التصريح بعد، لأنها بالفعل هي صورة حية لما يجب أن يكون عليه العالم خلال الزمن الآتي؟ وفي هذا أود القول إن مستوى الحياة والحريات بما في ذلك الحرية الدينية والمستوى المعاشي للناس وحقوق الفرد فيها، وغير ذلك من عناصر الحضارة والتقدم، هي التي تقدم لنا حقيقة أمريكا وصورة أمريكا، هذا بالإضافة إلى قوتها الاقتصادية والعسكرية التي لا تضاهي، لذلك فالعاملان كلاهما وراء الإعجاب بأمريكا.

من بين القضايا التي أشار إليها الكاتب أن الولايات المتحدة تستطيع أن تنال رضا المواطن العربي العادي إذا ما بادرت، وفي ظل «النظام الدولي الجديد»، إلى حل المشكلة الفلسطينية، لأن ذلك سيزيل الكثير من العتب عليها لدى المواطن العربي والفلسطيني، لأنها هي التي أقامت الدولة «الإسرائيلية» في قلب المنطقة العربية وهي التي حرست ورعت طفولتها وشبابها حتى اليوم.

ولم يفت الكاتب أن يشير إلى إمكانية أمريكا في إسداء النصح للعرب والذي يمكن أن يُحسن من أوضاعهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. كما فهمت أن الكاتب ربما أراد القول أن العرب الذين لم يستفيدوا من صداقة الولايات المتحدة والذين لم يستفيدوا من إمكاناتها الحضارية الهائلة بحكم انشغالهم بتناقضاتهم والحرب الباردة، رغم اهتمام واشنطن بمنطقتهم لأهميتها بالنسبة للصناعة الغربية، يستطيعون ذلك الآن، ولم تفت الفرصة بعد.

في ضوء ذلك أتساءل: هل بمقدور العرب أن يستفيدوا اليرم من الولايات المتحدة وكيف السبيل إلى ذلك؟

للإجابة على ذلك لابد من فهم مصالح الولايات المتحدة في منطقتنا وهي تلخص في اثنتين بعد أن زال النفوذ الشيوعي من المنطقة تماماً، أولاهما ضمان الامدادات النفطية إلى حلفاء الولايات المتحدة، رغم أن اعتمادها على المنطقة لا يتجاوز الـ ٥ في المائة، وضمان بقاء «إسرائيل» في حدود آمنة ومعترف بها من

قبل العرب .

هل يمكن للدول العربية جميعها أن تتحاور مع الولايات المتحدة على هذا الأساس - أي أن تبدي الدول العربية تفهمها لهذه المصالح الأمريكية؟ في تفديري - إذا ما تمكنت الدول العربية - خصوصاً المجاورة «لإسرائيل» والدول العربية الغنية بالنفط من تطمين الولايات المتحدة على أنها تتفهم مصالحها في المنطقة العربية، وإذا أعادت الدول العربية الأخرى النظر في سياساتها الإعلامية التي ليس لها من موضوع غير التنديد بأمريكا واتهامها بأنها امبراطورية الشر، فإن ذلك لا شك سيخدم السياسة الأمريكية والدول العربية في المرحلة المقبلة. ولماذا لا يستفيد العرب من صداقة أمريكا وهل حان الوقت كي يتعلم العرب من التجارب؟». انتهى

٢ - النظرات

لقد وُلد هذا الرأي لدي عدداً من القضايا التي يحتاج بيانها بالتفصيل إلى مساحة لا تسمح بها صفحات هذا البحث الوجيز ولذلك سأوجز وأختصر فأقول مستمداً التوفيق من الله تعالى :

(١) - نعم يجب أن نكتشف نحن معشر المسلمين والعرب حقيقة أمريكا وأن نستفيد من التجارب استفادة علمية وموضوعية بشرط أن نصدر في مواقفنا عن إسلامنا الذي أنزله الله تعالى رحمة للعالمين، والذي به تكون نجاتنا في الدنيا والآخرة، من خلال تجسدينا له وعلى كل صعيد . .
وعليه فإن المسلم لا يتحرك في مواقفه من هذه القوة الأرضية أو تلك على أساس «إزالة كثير أو قليل من العتب» وإنما على أساس اكتشاف الحق واتباعه ولو كان في ذلك الفناء والإبادة كما حدث مع أهل الأخدود الذين أضرمتم لهم النيران في الأخاديد وقذفوا فيها متمسكين بالحق دون تحول أو مداينة .
إن العرب والمسلمين بل والعالم أجمع اكتشف حقيقة أمريكا وخاصة أثناء وبعد

حرب الخليج على أنها:

أ - لا تعرف - مع الأسف الشديد - عدالة ولا شهامة ولا إنسانية، فهي تقيس بأكثر من مقياس، وتتكلم بأكثر من لسان، وتختلف مواقفها باختلاف مصالحها وأهوائها، فترفع شعار «الشرعية الدولية» و«حقوق الإنسان» و«النظام الدولي الجديد»، إذا كان ذلك يخدم مصالحها وأهواءها، وتدوس الشرعية الدولية والإنسان وحقوق الإنسان من أجل هذه المصالح والأهواء.

ب - لم يكن في الماضي، ولن يكون في الحاضر أو المستقبل - إذا استمرت على منهجها - صديقة للعرب والمسلمين، حامية لمصالحهم ساعة في سبيل تحقيقها، كما يتوهم بعض القادة والمسؤولين في بلاد العرب والمسلمين، وكما يحاول بعض المثقفين والصحفيين ورجال الإعلام الترويج له، وإقناع عامة الأفراد والشعوب به، إنما سيقى منطبقاً على الإدارة الأمريكية خدمة مصالحها، وهذا الذي نراه حتى مع حلفائها من الدول الأوروبية.

(٢) - لقد تضمن الرأي المعروض عدداً من التناقضات العجيبة، والتي أحسب أن الكاتب نفسه لو أعاد النظر في المقال لتمكن من اكتشافها بسهولة لوضوحها، وخاصة ما ورد حول القضية الفلسطينية والتصور المطروح لحلها من جانب، إذ أنه لم يعد خافياً على العرب والمسلمين وأهل الغرب أنفسهم، أن الإدارة الأمريكية في تحركها لحل قضية فلسطين إنما تتحرك من المنظور الصهيوني . . وإن كانت هناك بعض الاختلافات الشكلية في الأقوال والتصريحات . . بل إن الكاتب نفسه - مع الأسف الشديد - يطالب الفلسطينيين والبلاد العربية بما تطالبهم به حكومة «الكيان الصهيوني»، حيث قال في تحديده لمصالح أمريكا: «ضمان بقاء إسرائيل في حدود آمنة معترف بها من قبل العرب» ثم عاد فقال: «في تقديري - إذا تمكنت الدول العربية - خصوصاً المجاورة لإسرائيل، والدول العربية الغنية بالنفط

من تطمين الولايات المتحدة على أنها تفهم مصالحها في المنطقة العربية، . . .
فإن ذلك لاشك سيخدم السياسة الأمريكية والدول العربية في المرحلة المقبلة!!!
وهكذا نُسلم بكل ما تطالب به حكومة «الكيان الصهيوني» حتى ترضى عنا
أمريكا!!!

٣ - أثنى الكاتب على الرأي القائل أن أمريكا بإمكانها إسداء النصيح للعرب،
بما يُحسن من أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية ولا يدري الإنسان: هل يصدر
هذا الرأي عن خبرة وتجربة ودراية ووعي لأوضاع أمريكا والبلاد العربية والإسلامية،
أم أنه يصدر عن ناس أعمتهم التبعة للغرب والأمريكان؟ . ألم يقرأ هؤلاء بعض ما
نشر حتى الآن عن نتائج حرب الخليج وآثارها في البلاد العربية وبصفة خاصة
منطقة الخليج؟!

ألم يطلع هؤلاء على التحليلات التي صدرت عن المتخصصين في مجالات
النفط والصحة والبيئة؟! ألم يشعروا بمدى ما تركته هذه الحرب في نفوس العرب
والمسلمين؟! أليس كل ذلك الذي حدث من خراب ودمار اقتصادي، وحقد
وبغضاء وجوع وتشريد على المستوى الاجتماعي بسبب المشورة التي أسدتها
الولايات المتحدة وإصرارها على الحرب؟!

وهنا قد يقول قائل: إن السبب الرئيسي في كل ذلك هو النظام العراقي وإصرار
صدام حسين على أطماعه؛ وإنني أوافق على جزء من هذا الكلام، إذ لا شك أن
النظام العراقي وإصرار صدام حسين هو المقدمة لحدوث ما حدث - على الأقل
ظاهرياً -، وإنسا الذي يقرأ ما صدر من دراسات مثل «حرب الخليج - الملف
السري» للكاتبين «بيير سالنجر وأريك لوران»، وكتاب «كشف الغمة عن علماء
الأمة» للأستاذ الدكتور «سفر الحوالي»، وكتاب «القادة» للكاتب «بوب وودوارد»
يتبين له أن ما وقع إنما هو صورة لإخراج ما خطط له قبل أكثر من عشر سنوات . .
كما أن الإنسان العاقل الذي يتابع ما قدمته أمريكا «للكيان الصهيوني» بعد

انتهاء حرب الخليج من مساعدات مادية وعسكرية وما وقع وزيراً دفاع البلدين من اتفاقات عسكرية، إن الذي يتابع كل ذلك بدقة ليتساءل: ما هي علاقة حرب الخليج بكل ما يقدم الآن «للكيان الصهيوني»؟!

٤ - أمريكا التي يراد أن نستفيد من نصحتها، والتي لم يستفد العرب من إمكاناتها الحصارية الهائلة بحكم انشغالهم بنساقضاتهم والحرب الباردة، رغم اهتمام واشنطن بمنطقتهم - على حد قول الكاتب - هي التي طالبت الاتحاد السوفيتي بإطلاق الحريات، وعند التطبيق حصر الاهتمام فقط بإطلاق حريات اليهود السوفييت للهجرة إلى الأرض المحتلة في فلسطين، ولو على حساب حريات أصحاب الأرض الذين يُقتلون أو يُرحلون، ومن بقي منهم في الأرض المحتلة يعامل معاملة العبيد..!!

أمريكا التي خاضت حرباً ضد نظام العراق البعثي الظالم، هي التي تحالفت لحرب هذا النظام مع الجناح البعثي الآخر المتمثل في النظام السوري!!!

وأخيراً فإن الإدارة الأمريكية تستنكر بناء المستوطنات في الأرض المحتلة - ظاهرياً - ولكنها في نفس الوقت تساعد في إقامة جسر جوي لنقل يهود «الفلاشا» من أثيوبيا، وتقديم الدعم المادي - المالي والمباني الجاهزة - لبناء المستوطنات لتسكين اليهود المهجرين من الاتحاد السوفيتي ومن أثيوبيا وغيرهما الذين يصلون إلى الأرض المحتلة!!! لقد صرح عدد من المسؤولين في «الكيان الصهيوني» بأن نجاح عمليات تهجير اليهود لا يقاس بعدد المهاجرين وأسلوب نقلهم، وإنما يقاس بالقدرة على استيعابهم!!!

فما معنى هذه التصرفات وهذه التصريحات المتناقضة؟ إنني أعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية تعمل بتخطيط مع الصهيونية العالمية لإقامة «إسرائيل الكبرى» من النيل إلى الفرات.. والتي ستقام على مراحل زمنية بحسب ما تسمح به ظروف ومعطيات العصر.. فهل يتدارك العرب والمسلمون الموقف قبل فوات الأوان؟

ثالثاً: السياسة الأمريكية تقيس بمعيارين ، وتتكلم بلسانين !!!
بعد انتهاء حرب الخليج أعلن الرئيس الأمريكي رغبته في تحقيق «السلام في منطقة الشرق الأوسط»، وتحرك وزير خارجيته في رحلات «مكوكية» في بلاد المنطقة لهذا الهدف، ثم أعقب ذلك الإعلان عن «نظام للأمن» في المنطقة والذي يتطلب الحد من التسليح، وتجريد المنطقة من أسلحة «الدمار الشامل». وتحرك وزير الدفاع الأمريكي في دول المنطقة لأغراض عسكرية .

والغريب العجيب أنه في الوقت الذي تصدر فيه مثل هذه التصريحات، وتقع فيه مثل هذه التحركات والزيارات، فإننا نسمع فيه ونرى تصريحات وموافقات أخرى تتناقض تماماً مع ما سبق أن أعلن، مما يكشف أن الإدارة الأمريكية تتحدث بلسانين وتقيس بمعيارين، ولقد أصبح هذا الأمر ظاهراً للعيان بيناً لكل إنسان!!! وسأكتفي هنا ببعض التصريحات وبعض التعليقات الصحفية .

- رداً على «منع أسلحة الدمار الشامل» ذكرت الصحف في الأرض المحتلة يوم الثلاثاء ٢٨/٥/١٩٩١م أن «موشيه ارينز» وزير دفاع «الكيان الصهيوني» اقترح عقد مؤتمر دولي لمصدري الأسلحة بمشاركة دول «الشرق الأوسط» بهدف الحد من سباق التسليح في المنطقة، وقال «ارينز» في رد على الخطة التي اقترحها الرئيس الأمريكي من أجل الإشراف، الفرري على جميع أسلحة الدمار الشامل قال: إن حكومة «إسرائيل» مهتمة بنفس القدر بمسألة وقف عملية التكديس الهائلة للأسلحة التقليدية .

وكان مشروع الحد من الأسلحة أحد الموضوعات التي جرى حولها الحديث مع وزير الدفاع الأمريكي، الذي ذهب إلى الأرض المحتلة لتوقيع اتفاق خاص بتمويل المرحلة الثانية من تطوير الصاروخ المضاد للصواريخ من طراز «أرو»، وذكرت صحيفة «يدعوت أحرنوت» أن الهدف الرئيسي من اقتراح «ارينز» عقد هذا المؤتمر، سيتمثل في الحد من تدفق الأسلحة إلى «الشرق الأوسط»، أو حتى فرض حظر

كامل على تصدير الأسلحة للمنطقة!! ونقلت الصحيفة عنه قوله: إن حرب الخليج أثبتت أن العدد الكبير للغاية من الأسلحة التقليدية يمكن أن يعمل كحافز على خوض حرب. وقال: إن الأسلحة التقليدية عندما تكون بمثل هذا الكم الهائل تعد أيضاً أسلحة دمار شامل.

- علقت صحيفة «الفيجارو» Le figaro الفرنسية بتاريخ ١٧/٦/١٩٩١م على نتائج حرب الخليج قائلة: «خرجت «إسرائيل» من الحرب وهي في وضع الأقوى وذلك عن طريق الانتصار غير المباشر، حيث تعتبر هي أكبر رابح وستبقى في مواجهة العرب هي الأقوى، لمدة عشر سنوات على الأقل، حيث يصعب على العرب أن يقوموا بحرب ضد «إسرائيل» بوضعهم الحالي، فضلاً عن أن فرص الهجرة لليهود السوفييت إلى الأرض المحتلة أصبحت أقوى مما كان في أي وقت آخر...»

- نقلت صحيفة الأهرام الدولي في عددها الصادر في ٣/٦/١٩٩١م عن وكالات الأنباء خبراً جاء فيه: .. أذاع راديو «إسرائيل» أمس نقلاً عن مصادر عسكرية أن «ريتشارد تشيني» وزير الدفاع الأمريكي اتفق مع نظيره «الإسرائيلي» موشي ارينز على أن «إسرائيل» تستطيع الاستفادة من أنظمة الأقمار الصناعية الأمريكية للإنذار المبكر في المستقبل، ويذكر أن أنظمة الأقمار هذه كانت قد زودت «إسرائيل» خلال حرب الخليج بمعلومات فورية حول انطلاق الصواريخ العراقية في اتجاهها، وأشارت المصادر العسكرية إلى أن هذا الاتفاق يعتبر من أكبر الإنجازات التي تحققت خلال المحادثات التي أجراها تشيني في «إسرائيل» ..

- جاء في عدد من الصحف المصرية مقالات وتحليلات تبين التناقض في مواقف الإدارة الأمريكية، وبعضها هاجم هذه المواقف حيث لم يكن كثير من رجال الإعلام المصري يتوقع مثل هذه المواقف من الإدارة الأمريكية - خاصة بعد كل

الذي قُدم لها في حرب الخليج -، كما يفهم من بعضها فقدان الثقة في «الصديق» الذي ظهر منه في حرب الخليج أنه تحرك لتحقيق مصالح العرب والدفاع عن أرضهم ومصلحتهم!!! ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر مايلي :

● جاء في عدد جريدة الوفد بتاريخ ١٩٩١/٥/٣١ مقال للدكتور عبد الحليم مندور بعنوان «معسول الكلام وأوهام السلام» قال فيه : أمريكا التي ترفض في تصريحاتها المعلنة بناء «إسرائيل» للمستوطنات وتوطين المهاجرين اليهود في الأراضي العربية المحتلة، قد أرسل رئيسها خطاباً سرياً الى الرئيس الأثيوبي المؤقت غداة توليه السلطة يطلب منه التعجيل بنقل يهود أثيوبيا .

وكتب الدكتور محمد عصفور في نفس الجريدة قائلاً : «يستحيل أن يكون الموقف الأمريكي موقفاً إنسانياً محضاً، وإنما هو موقف سياسي معاد للعرب تماماً» وجزم أن : «كل ما تبديه أمريكا من تحركات لما تسميه التسوية السلمية للمشكلة الفلسطينية، لا تعدو هذه التحركات أن تكون مسرحيات أو سيناريوهات مخادعة» .

● سخرت صحيفة الأخبار الصادرة يوم الأحد ١٩٩١/٦/٢ من تصريحات «تشيني» وزير الدفاع الأمريكي، فجاء فيها تحت عنوان «من يضحك على من؟» . لقد كشف تصريح تشيني الخطير عن خطط سرية لجعل «إسرائيل» قلعة حصينة لا تكتفي بما تخزنه من أسلحة . . . وبينها أسلحة الدمار الشامل التي تدعو مصر إلى تطهير المنطقة منها . بل إن «إسرائيل» أصبحت رسمياً قاعدة أمريكية مجهزة بأحدث المعدات الحربية، وهي لن تستخدم بطبيعة الحال ضد الدولة الموجودة فيها ! ويتحدثون بعد ذلك عن جدية واشنطن ومصداقيتها وسعيها الصادق للسلام في المنطقة !» .

● وكتب جمال بدوي في صحيفة الوفد الصادرة يوم الاثنين ١٩٩١/٦/٢ م مقالة بعنوان «أمريكا تحفر القبر و «إسرائيل» تشحذ السكين والذبيحة العربية

تستسلم» قال فيه تعليقاً على تصريحات «تشيني»: هل رأيتم هزلاً أو استخفافاً بعقول البشر أكثر من هذا؟ يكفي «إسرائيل» أن تقول أنها لا تملك قنابل نووية حتى تصدقها أمريكا وتغمض عينيها عن المائة رأس التي تملكها، أما الأسلحة التقليدية التي تشتريها الدول العربية للدفاع عن نفسها فهي التي سوف تخضع لسياسة الحد، حتى تظل هذه الدول راکعة ذليلة وتظل «إسرائيل» متفوقة في السلاح التقليدي والسلاح النووي معاً.

والجدير بالذكر أن السيد جمال بدوي هو أحد الذين دافعوا عن الوجود الأمريكي في أزمة الخليج، وكان من المطالبين بتدمير السلاح العراقي، وكان يؤكد على أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد انتهاء أزمة الخليج سوف تلتفت لقضية فلسطين!!.

- كتبت صحيفة «شتوتجارت تسايتونج» Stuttgarter Zeitung الألمانية بتاريخ ١٩٩١/٦/٧م تحت عنوان «معيان السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط» تعليقاً على سياسة واشنطن في الشرق الأوسط وردود الفعل في البلاد العربية عليها جاء فيه: «عقب انتهاء زيارة تشيني للشرق الأوسط» يظهر من تعليقات السياسيين المصريين - حتى المعتدل منهم - بأن لواشنطن معايير مختلفة تجاه «الشرق الأوسط» سواء كان ذلك يتعلق بـ «إسرائيل» أم بالعرب، ولا شك أن اقتراح وزير الدفاع الأمريكي بعقد تحالف عسكري بين الولايات المتحدة و «إسرائيل»، في نفس الوقت الذي يعلن فيه الرئيس الأمريكي بوش رغبته في الحد من التسلح في منطقة «الشرق الأوسط»، لا يمكن أن يفسر بمجرد سذاجة أمريكية فحسب، بل إن بعض الدبلوماسيين وصفوا تغافل تشيني لذكر الأسلحة النووية «الإسرائيلية» بأنها مجرد عجز أو سخرية، في وقت تؤكد فيه معلومات مؤسسة الدراسات الاستراتيجية في لندن بأن «إسرائيل» تملك حالياً ما لا يقل عن مائة رأس نووي، بينما يقول وزير دفاع أكبر قوة عسكرية في العالم، وصديقه «إسرائيل» بأنه لا

يعرف مدى طاقة «إسرائيل» النووية!!! وأن إسرائيل لم تصرح بذلك!!!

وفي موضع آخر من المقال ورد القول: «وعليه فإنه من الصعب على مصر ودول الخليج الآن قبول مبادرة الرئيس الأمريكي بوش بالحد من التسليح في المنطقة، كما ينظر العسكريون لهذا الموضوع بشيء من الحذر والشك، وخاصة الحد من تدفق الأسلحة التقليدية على المنطقة، والحصول على مزيد من الأسلحة الكيماوية و «البيولوجية» وأنظمة الصواريخ، نظراً لاستمرار النزاع العربي «الإسرائيلي» هذا إلى جانب عوامل أخرى إقليمية تحمل الكثير من الصعوبات، منها دور إيران غير الواضح في إطار نظام الأمن المقترح في الخليج، وكذلك وجهة نظر العالم الإسلامي تجاه «إسرائيل»، والصراعات العربية حول الزعامة السياسية، وتوزيع الثروات في المنطقة، والخلافات على الحدود والأرض».

نعم للمرء أن يتساءل بحق: أليس غريباً أن يدعو «بوش» للحد من أسلحة الدمار الشامل في منطقة «الشرق الأوسط» في الوقت الذي يعقد فيه وزير دفاعه «تشيني» اتفاقية عسكرية مع «الكيان الصهيوني» تقضي بقيام أمريكا بتزويد «الكيان الصهيوني» بعشر طائرات مقاتلة إضافية والمساهمة بنسبة ٧٢٪ من تكاليف تطوير الصاروخ المضاد للصواريخ «أرو»، وتعطي لليهود حق الاستفادة من أنظمة الأقمار الصناعية الأمريكية للإنذار المبكر في المستقبل؟!

وللإنسان العاقل أن يتساءل: ماذا يفهم من تصريح وزارة الدفاع الأمريكية الذي جاء فيه: «إن اتفاق تخزين الأسلحة بـ «إسرائيل» الذي تم التوصل إليه خلال زيارة «ريتشارد تشيني» وزير الدفاع لـ «إسرائيل» مؤخراً جزء من برنامج يسمى «برنامج منزون الاحتياطي العسكري لدى الدول الحليفة لأمريكا»، وقد وافق الكونجرس على هذا البرنامج ضمن ميزانية الدفاع الأمريكية للعام الماضي؟!

وأخيراً سوف ألفت النظر إلى خبر نشرته صحيفة الأهرام الدولي بتاريخ ١٩٩١/٦/٨

في صدر صفحتها الأولى ، حيث لا يحتاج هذا الخبر إلى تعليق وإنما يحتاج إلى تدبر على ضوء قول الله عز وجل ﴿قُلْ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾

أما الخبر فقد جاء فيه :

«وقد جرت مفاوضات بين البنتاجون ووزارة الدفاع «الإسرائيلية» أسفرت عن توقيع اتفاق مبدئي بين الجانبين في ٢٦ أكتوبر الماضي ، وكان مقرراً أن يبدأ التخزين بعد ذلك ولكن بعد تطور أزمة الخليج تأجل التخزين لحاجة الولايات المتحدة للأسلحة والذخائر التي كان سيتم تخزينها.

وأكد المتحدث أن الولايات المتحدة ستبدأ في تخزين الأسلحة من الآن بعد تحديد كميات وأنواع الذخائر التي سيجري تخزينها وينطبق عليها الاتفاق الأمريكي «الإسرائيلي» بهذا الشأن .

وأشار المتحدث الأمريكي إلى أن الكونجرس وافق على زيادة قيمة الأسلحة المخزنة «بإسرائيل» في العام الحالي إلى ٣٠٠ مليون دولار بالقياس لـ ١٠٠ مليون دولار في العام الماضي ، وذكر المتحدث أن مفاوضات «إسرائيلية» أمريكية قد بدأت لتنفيذ برنامج التخزين .

ووفقاً للاتفاق الأمريكي «الإسرائيلي» فإن «إسرائيل» يمكنها استخدام الأسلحة المخزنة لديها في ظل ما وصفه المتحدث «بغرف استثنائية ترغسها على ذلك» ، وستكون هذه الذخائر والمعدات جاهزة لاستخدام الولايات المتحدة لها في عدة أغراض منها ضرب مطارات «العدو» وطائراته العسكرية الموجودة على الأرض ، والسفن الحربية في الموانئ والبحر ، والمواقع العسكرية ومراكز القيادة والسيطرة والتحكم ، ومخازن الذخائر . والمعروف أن موشي ارينز سيصل إلى واشنطن يوم ٢٤ يونيو - ١٩٩١ م - لإتمام التنسيق «الإسرائيلي» الأمريكي بهذا الشأن .

وقد تسلم سلاح الجو «الإسرائيلي» أمس الدفعة الأولى من ٦٠ طائرة مقاتلة طراز إف ١٦ التزمت واشنطن بتزويد «إسرائيل» بها حتى نهاية العام القادم .
فهل من مذكر؟

المبحث الرابع

«الشرعية الدولية» و «النظام العالمي الجديد»

لقد هلل كثير من المسؤولين العرب، ومن يسير في ركبهم من أصحاب الرأي والقلم، للطريقة التي عالجت بها أمريكا وحلفاؤها أحداث الخليج، وبشرت وسائل الاعلام بظهور ما أطلق عليه «النظام العالمي الجديد»، ولحكم على «الشرعية الدولية» و «النظام العالمي الجديد» نرى أن نقدم له باعطاء فكرة عن كيفية تكون وظهور هذه «الشرعية الدولية» و «النظام العالمي الجديد» ثم نتناول بالتحليل بعض المواقف ونعقد بعض المقارنات على النحو التالي :

أولاً : كيف تكونت «الشرعية الدولية» وقام «النظام العالمي»؟
لما تم إنشاء «الأمم المتحدة» بوصفها منظمة دولية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، كان هدف الدول المنتصرة في هذه الحرب هو: وضع دعائم واقع دولي بعد الحرب، ولذلك أصبح جوهر الميثاق لهذه المنظمة «هو تأكيد عدم جواز احتلال الأراضي بقوة الغزو العسكري».

وبغرض تطبيق هذا الميثاق تمت الدعوة لانضمام دول العالم إلى منظمة «الأمم المتحدة» كمنظمة دولية جديدة، ولقد قامت الأمم المتحدة على مؤسستين: «الجمعية العامة» التي انحصرت وظيفتها في التشاور وتقديم توصيات في القضايا التي تعرض عليها، أما سلطات وصلاحيات التنفيذ واتخاذ القرارات الملزمة فهي لمؤسسة أخرى أطلق عليها «مجلس الأمن الدولي» والذي يتكون من ١٥ عضواً كل واحد منهم يمثل دولة . . ومن الغريب العجيب في تشكيل هذا المجلس أن خمسة مقاعد لخمس دول ثابتة لها صفة الدوام ولها حق الاعتراض «الفيتو» على أي قرار، وهذه الدول ذات العضوية الدائمة في «مجلس الأمن الدولي» هي: أمريكا والاتحاد السوفيتي والصين وفرنسا وبريطانيا . . والدول العشر الأخرى يتم اختيارها من بين أعضاء الجمعية العامة لتمثل بقية دول العالم . . أي أنه يمكن للدول الخمس ذات العضوية الدائمة في «مجلس الأمن» مجتمعة أو متفرقة أن تتحكم في تنفيذ «الشرعية الدولية» فتصدر القرارات التي تمكن من استخدام القوة العسكرية «كما هو الحال في حرب الخليج»، أو تمنع حتى من اتخاذ قرار.

وكما يقول الأستاذ محمد عيسى نصرأوي: «في الحقيقة أن مجلس الأمن يشكل عنواناً فاضحاً على الواقع العالمي ما بعد الحرب العالمية الثانية، أي واقع سيطرة الدول الكبرى على العالم ووضع نفسها فوق مجموع دوله . لذلك كان ثمة مطلب قديم لعدد كبير من الدول المتوسطة والصغرى يدعو إلى إلغاء «مجلس الأمن» وإعادة صلاحياته إلى «الجمعية العامة للأمم المتحدة»، إذا ما أريد للشرعية الدولية أن تكون تعبيراً حقيقياً عن غالبية دول العالم ويطالب بإعادة تنظيمه على أسس جديدة تأتي أكثر تعبيراً عن الوضع العالمي الراهن وقد شاهد تغييراً نوعياً بالنسبة إلى وضع الدول التي أصدرت الميثاق وأسس هيئة الأمم المتحدة، فيصار إلى إعادة انتخاب أعضائه على أسس جديدة، ويصار إلى إلغاء حق «الفيتو»، وإلى إعطاء صلاحيات أكبر للجمعية العامة والمنظمات الدولية الأخرى المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة»^(١)

ولقد أظهرت التجربة العملية خلال سنوات طويلة أن «الشرعية الدولية» معطلة، إلا في حالات نادرة اتفقت فيها الدول الخمس ذات المقاعد الدائمة، وكان من هذه الحالات النادرة قرار تقسيم فلسطين ومكافأة «الحركة الصهيونية» بإعطائها الحق في قيام «الكيان الصهيوني» في فلسطين!!!

ويرجع السبب الرئيسي في تعطل «الشرعية الدولية» إلى الصراع «الأيديولوجي» بين القطبين الكبيرين أمريكا والاتحاد السوفيتي خلال فترة ما سمي بـ «الحرب الباردة» حيث كان كل طرف يعارض الطرف الآخر ليفوت عليه المصلحة، وبالتالي يستخدم حق النقض «الفيتو» ويتوقف اتخاذ القرار فلا يصدر!.

أما بعد انتهاء فترة «الحرب الباردة» وإحلال «الوفاق الدولي» محل الصراع، فلم تعد مكاسب قوة عظمى هي بالضرورة خسائر القوة المضادة أو المنافسة، كما أنه بسقوط الأنظمة الاشتراكية وإنهيار الاتحاد السوفيتي لم يعد هناك قوة عظمى منافسة، فقد خرج «جورباتشوف» على العالم في سبتمبر / إيلول سنة ١٩٨٧ بمقال في جريدة «البرافدا» تحدث فيه عن «حقيقة وضمانات عالم آمن» فطرح رؤية سوفيتية لعالم جديد يحكمه القانون الدولي من خلال تقوية «مجلس الأمن» والتوسع في استخدام قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، وإعطاء اختصاصات جديدة «لمحكمة العدل الدولية»، وتقدمت اليابان باقتراح إعادة النظر في عضوية «مجلس الأمن» ولكن أمريكا لم توافق على شيء من ذلك وساندها في هذا الشأن كل من فرنسا وبريطانيا.

ثم جاءت أحداث الخليج وظهر دور أمريكا في هذه القضية بعد أن استبدل نظام القطب الواحد بنظام القطبين، حيث انفردت أمريكا بالسيطرة على مجريات الأمور والأوضاع السياسية والاقتصادية في منطقة الخليج، ولتغطية فعلها هذا طرحت هذا الشعار «النظام العالمي الجديد»، والذي سنعقد مقارنة في صفحات قادمة لاختبار فعالية هذا النظام الجديد..

من أسباب فشل «الشرعية الدولية» و «النظام العالمي»

يمكن ايجاز أهم أسباب الفشل فيما يلي :

١ - المواثيق والعهود التي يضعها البشر تستند إلى أسس وتصورات بشرية، فلا بد أن تتأثر بالهوى والمصالح، وعليه فإنها فضلاً عن وجود النقص بها لا بد وأن يكون فيها الظلم والخطأ، فإذا أرادت الشرعية عهداً ومواثيق صحيحة وفي نفس الوقت تضمن الخير والرحمة للبشرية فلا بد من الرجوع إلى الشريعة الإسلامية وهذا ما لا تقبل به القوى الكبرى اليوم، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

٢ - الأسس التي تتبع في تكوين الأجهزة مثل «الجمعية العامة» و «مجلس الأمن» والصلاحيات والسلطات التي تمنح لكل جهاز، لقد قامت هذه المؤسسات على أسس ظالمة، كما هو الحال في «مجلس الأمن الدولي» إذا أن الدول الخمس الدائمة العضوية في المجلس لا يشكل سكانها نسبة ١٠٪ من سكان المعمورة؛ فحتى بالمبدأ «الديمقراطي» الذي تنادي به هذه الدول لا يحق لهذه البلاد أن تتمتع بهذه الحقوق والصلاحيات، وقد رأينا في حرب الخليج كيف تمكنت أمريكا من توجيه وتسيير «مجلس الأمن»!

٣ - المكان الذي توجد فيه المنظمة وحرية الوصول إليه لكل من لديه قضية يريد أن يعرضها، وقد رأينا أن عدم سماح السلطات الأمريكية لياسر عرفات بالتزول على التراب الأمريكي، جعله لا يستطيع أن يذهب إلى مقر «هيئة الأمم المتحدة» في نيويورك، مما جعل انعقاد «الجمعية العامة» ينتقل إلى «جنيف» حتى يتمكن ياسر عرفات من المشاركة في دورة الانعقاد ويشرح القضية الفلسطينية أمام المجتمعين!!

٤ - التمويل واستخدامه كوسيلة في الضغط على المنظمة، فمثلاً عبرت الإدارة الأمريكية خلال السنوات العشر الأخيرة عن سخطها على «الجمعية العامة»، بسبب مواقف غالبيتها العديدة من دول العالم الثالث.. مما جعل «الكونجرس» الأمريكي

قبل سنوات يوافق على قانون - تقدم به عضو مجلس الشيوخ - يلزم الحكومة الأمريكية بأن تسدد ٤٠٪ فقط من حصتها في ميزانية «الأمم المتحدة» سنوياً، ما لم تستجب المنظمة لشروط أمريكية محددة، وقد بلغت المتأخرات المالية المستحقة على الحكومة الأمريكية سنة ١٩٩٠ مبلغ ٦٧٥ مليون دولار، كما أن هناك قانوناً أمريكياً آخر. يربط بين المعونات الأمريكية للدول الأجنبية وتصويت هذه الدول في داخل «الأمم المتحدة» . .

ثانياً: «مجلس الأمن الدولي» وموقفه من قضايا العرب والمسلمين
لقد وقعت صدامات عديدة ونزاعات كثيرة في منطقة ما سمي بـ «الشرق الأوسط»، وحفل تاريخ «الأمم المتحدة» و«مجلس الأمن الدولي» بإصدار أكثر من ٤٦٠ قراراً حول هذه الصدامات والنزاعات، ولأبناء هذه المنطقة ولأهل فلسطين أن يتساءلوا: كيف عالج المجتمع الدولي قضايا العرب والمسلمين وقضية فلسطين؟ وما هو دور «مجلس الأمن» و«هيئة الأمم» في وجود «الكيان الصهيوني»؟ وكيف يتعامل المجتمع الدولي مع هذا الكيان الغاصب للحقوق المتكرر لما يسمى «الشرعية الدولية»؟!؟

ولإلقاء الضوء على جواب هذه الأسئلة، سأستعرض عدداً من مشروعات القرارات التي تتعلق بقضايا عربية وإسلامية، ثم أذكر بموقف بعض الدول الخمس الدائمة العضوية في «مجلس الأمن» منها، ثم نتوقف قليلاً أمام «قرار المجلس» حول مذبحه القدس التي وقعت يوم ٨/١٠/١٩٩٠ م، وأخيراً ستم الإشارة إلى الموقف الحالي من القضية الفلسطينية على النحو التالي:

١ - استعراض بعض القرارات والموقف منها:

صدر قرار تقسيم فلسطين في ٢٩/١١/١٩٤٧ م، والذي يقضي بغرس الكيان الصهيوني في قلب المنطقة وعلى أرض فلسطين، نعم صدر هذا القرار الظالم من الأمم المتحدة بموافقة أغلبية دول العالم، ومعارضة أصحاب الحق، ولا يعرف

الإنسان العاقل على أية شرعية اتخذ هذا القرار ولتحقيق أي «عدل»!! إنه صدر لأن القوى الكبرى أرادت ذلك، ورغبت أوروبا في تحقيق مصالحتين في آن واحد: التخلص من اليهود مصدر المصاعب والمتاعب في أوروبا، والعمل على تقسيم بلاد العرب والمسلمين على المدى البعيد..

■ أول يوليو سنة ١٩٦١م بعد إعلان بريطانيا استقلال الكويت التي كانت تحت الحماية البريطانية، دخل الجيش العراقي إلى الكويت بدعوى أن الكويت جزء من العراق، واستنجدت الأسرة الحاكمة في الكويت ببريطانيا، فجاءت القوات البريطانية للمنطقة، وحاول «مجلس الأمن الدولي» آنذاك إصدار قرار لحل الأزمة، ولكنه فشل بسبب استخدام الاتحاد السوفيتي حقه في نقض القرار - الفيتو - وقد كان الصراع «الأيدلوجي» في فترة ما سمي بـ الحرب الباردة - بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية قائماً، وتم تسوية النزاع العراقي - الكويتي في ذلك الوقت عن طريق جامعة الدول العربية.

■ في الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ قامت قوات «الكيان الصهيوني» بضرب القوات المصرية والسورية والأردنية، وذلك فيما عرف بحرب الأيام الستة والتي احتل خلالها «الكيان الصهيوني» كلاً من سيناء ومرتفعات الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة. واجتمع «مجلس الأمن» ودامت المداولات فترة غير قصيرة، استقر الأمر بعدها على إصدار القرار الشهير رقم ٢٤٢ سنة ١٩٦٨م، والذي يقضي بانسحاب قوات «الكيان الصهيوني» من أراضٍ محتلة، وطالب بأن تعيش بلاد المنطقة في حدود آمنة ومعترف بها من قبل جميع دول المنطقة، وحل مشكلة المهاجرين الفلسطينيين، ولكن الكيان الصهيوني لم يقبل بهذا القرار ولم ينفذ منه شيئاً حتى الآن.

وتتالت القرارات الخاصة بالقضية الفلسطينية بحيث صدر عن «مجلس الأمن» وحده بشأن هذه القضية ٢٩ قراراً، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية - الحامية

لحقوق الإنسان! - استخدمت ضد هذه القرارات جميعاً حق النقض - الفيتو - فلم يُنفذ منها قرار واحد بحيث أصبح «مجلس الأمن» بشأن القضية الفلسطينية لا حيلة له، وفي الوقت ذاته فإن كل قرار يضمن حقاً «للكيان الصهيوني» تقف الولايات المتحدة الأمريكية وبقية الدول الخمس الدائمة خلفه!!!

■ في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٨٠م اندلعت الحرب بين العراق وإيران واستمرت هذه الحرب ثمان سنوات!!، ووقف منها «مجلس الأمن» موقف العاجز، أو قل موقف من يريد استمرارها، ولقد وجدنا من الناحية الدفاعية والواقعية أن الغرب يساعد على استمرار هذه الحرب، فكان العديد من الدول يبيع السلاح للطرفين، ومنها بعض الدول التي كانت تباع لإحدى الدول السلاح وتقدم للدولة الأخرى صور مواقع الأسلحة والمواقع «الاستراتيجية» بغرض المساعدة على استمرار الحرب!

■ في ٧ يونيو سنة ١٩٨١م قامت طائرات «الكيان الصهيوني» بتدمير المفاعل الذري العراقي، وقرر «مجلس الأمن» بالاجماع إدانة هذا العمل وفرض تعويض للعراق يدفعه «الكيان الصهيوني» بقيمة الخسائر التي تحققت، ولكن «الكيان الصهيوني» لم يقبل القرار، وبالتالي لم يدفع التعويضات المفروضة، ولم يتمكن «مجلس الأمن الدولي» من فرض أي عقوبات على «الكيان الصهيوني» بسبب اعتراض الولايات المتحدة الأمريكية واستخدامها لحق النقض ضد أي قرار في هذا الشأن.

■ في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٨١، قرر «الكيست» في دولة «الكيان الصهيوني» ضم الجولان واعتبارها من الأراضي التابعة «للكيان الصهيوني»، ولما أراد «مجلس الأمن الدولي» إصدار قرار يمنع ذلك، استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية حق نقض القرار، ولم يتمكن «مجلس الأمن» من فرض أي عقوبة على «الكيان الصهيوني»!!!

■ في ٦ يونيو سنة ١٩٨٢ ، دخلت قوات «الكيان الصهيوني» إلى لبنان فغزته ، ودمرت عدداً كبيراً من البيوت ، وقتلت آلاف اللبنانيين ، وما زالت «قوات الاحتلال الصهيوني» تحتل جنوب لبنان حتى يومنا هذا ، ولم يتمكن «مجلس الأمن الدولي» من إخراج قوات الاعتداء الصهيوني ، وعجز عن فرض أي نوع من العقوبة على «الكيان الصهيوني» ، بسبب استخدام الولايات المتحدة الأمريكية حق نقض القرارات !!!

■ في ١٥ ابريل سنة ١٩٨٦ ، قامت طائرات الولايات المتحدة الأمريكية بقصف مدينة طرابلس ومدينة بني غازي في ليبيا ، رداً - كما زعمت الولايات المتحدة الأمريكية - على اعتداء عدد من الليبيين على مرقص ليلي في برلين يرتاده الجنود الأمريكان وقام «مجلس الأمن» بأغلبية أعضائه بإدانة هذا العمل الإرهابي المنظم ، والذي تم تنفيذه بصورة فظيعة حيث قامت الطائرات الأمريكية بتدمير عدد من بيوت الشعب الليبي في جنح الظلام فوق رؤوس النائمين ، مما نتج عنه ترويع الآمنين ، وقتل عدد من النساء والأطفال والشيوخ ، ولكن «مجلس الأمن الدولي» لم يتمكن من اتخاذ قرار إدانة هذا الفعل ، أو فرض أي عقوبة على الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد استخدم كل من أمريكا وفرنسا وبريطانيا حق نقض القرار - الفيتو !!!-

■ في ٢ أغسطس سنة ١٩٩٠م دخلت القوات العراقية الكويت ، فقام «مجلس الأمن الدولي» بإصدار ١٢ قراراً ، منها قرارات لم يسبق أن اتخذها في تاريخه ، ويرجع السبب في ذلك إلى انفراد الولايات المتحدة الأمريكية - بعد أن تصدعت الكتلة الشرقية وانهارت الأنظمة الشيوعية - بقيادة أوروبا و«مجلس الأمن الدولي» ، فضلاً عن أنها كانت تترقب الفرصة للدخول إلى منطقة الخليج ، وانتهت هذه القرارات بتوفير المُسَوَّغات لاندلاع حرب الخليج ، والتي انتهت بتحقيق مصالح أمريكا والغرب ، وخلفت الدمار والخراب في أرض العرب والمسلمين ، وإحداث

الشقاق وغرس البغضاء والشحناء في قلوب الشعوب العربية والإسلامية .

٢ - قراءة في قرار «مجلس الأمن» الخاص بمذبحة القدس يوم (٨/١٠/١٩٩٠م)
لقد تابعنا وتابع العالم أحداث المذبحة المروعة التي ارتكبتها جنود «الاحتلال الصهيوني» ضد الفلسطينيين، وكان أن اجتمع «مجلس الأمن» للنظر في هذه القضية، وبعد مداورات استمرت خمسة أيام صدر قرار من «مجلس الأمن» بإدانة العنف الذي وقع من شرطة العدو ضد الفلسطينيين في ساحة المسجد الأقصى بالقدس، وكان القرار بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية، وقد طالعنا عدد من الصحف العربية والمجلات بعناوين ومقالات تبين أن هذا القرار تحول في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، وأنه يعتبر نصراً كبيراً!!!! فما حقيقة هذا القرار؟ وكيف صدر؟ وما هي نتائجه؟

(١) - ترجمة نص القرار رقم ٦٧٢ :

«إن مجلس الأمن إذ يشير إلى قراراته ٤٧٦/١٩٨٠م و ٤٧٨/١٩٨٠م، وإذ يؤكد من جديد، أن إيجاد حل عادل ودائم للنزاع العربي «الإسرائيلي»، لا بد أن يستند إلى قراراته ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧م و ٣٣٨ لسنة ١٩٧٣م، عن طريق عملية تفاوض فعالة، تراعي ما لجميع دول المنطقة بما فيها «إسرائيل» من حق في الأمن فضلاً عما للشعب الفلسطيني من حقوق سياسية مشروعة.

وإذ يضع في اعتباره بيان الأمين العام المتعلق بالغرض من البعثة التي سيوفدها إلى المنطقة، وهو البيان الذي نقله رئيس «مجلس الأمن» إلى المجلس في ١٣/١٠/١٩٩٠م:

أ - يعرب عن جزعه لأعمال العنف التي وقعت في ٨/١٠/١٩٩٠م في الحرم الشريف وفي الأماكن المقدسة الأخرى في مدينة القدس، مما أسفر عن مقتل ما يزيد عن عشرين فلسطينياً، وإصابة ما يربو على ١٥٠ شخصاً بجروح وفيهم مصلون أبرياء ومدنيون فلسطينيون.

ب - يدين على وجه الخصوص أعمال العنف التي ارتكبتها قوات الأمن «الاسرائيلية»، والتي أسفرت عن حدوث إصابات وخسائر في الأرواح البشرية.

ج - يطلب إلى «إسرائيل» - السلطة القائمة بالاحتلال - الوفاء بأمانة بالتزاماتها ومسؤولياتها القانونية المقررة بموجب اتفاقية جنيف الرابعة، التي تنطبق على جميع الأراضي التي تحتلها «إسرائيل» منذ عام ١٩٦٧م.

د - يطلب فيما يتعلق بقرار الأمين العام إيفاد بعثة إلى المنطقة، الأمر الذي يرحب به المجلس . . وأن يقدم الأمين العام إليه تقريراً قبل نهاية شهر أكتوبر سنة ١٩٩٠م، متضمناً ما يخلص إليه من نتائج واستنتاجات، وأن يستخدم حسب الاقتضاء جميع موارد الأمم المتحدة في المنطقة في تنفيذ هذه المهمة . . «
ولا يخفى على أحد أن مثل هذا القرار لا يلزم بشيء ولا يترتب عليه شيء، ولقد رفضه اليهود بالرغم من أنه لم يفرض عليهم أية عقوبة ولم يلزمهم بأي تعويض . . !!!

(٢) - ظروف وملابسات اتخاذ القرار وكيف صدر؟ :

من المفيد أن تعلم أخي القارئ مايلي :

أ - اقترحت الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام حق النقض «الفيتو» ضد أي قرار يفرض على «إسرائيل» أي نوع من العقوبات، أو أي قرار يجعل لجنة تقصي الحقائق تابعة «لمجلس الأمن» مباشرة، أي أن تكون للجنة فعالية ما . . بحيث لو منعتها «إسرائيل» من القيام بأعمالها . . يمكن «لمجلس الأمن» مستقبلاً أن يفرض عقوبات، وبالتالي جاء القرار باعتبار اللجنة تابعة لسكرتير عام الأمم المتحدة الأمر الذي يفقدها فعاليتها من ناحية، وعندما تعترض عليها أو تمنعها «إسرائيل» - كما حدث - فلا يحق «لمجلس الأمن» أن يفرضها بالقوة أو يفرض عقوبة على «إسرائيل» !!!

ب - اعتمد القرار على نص أمريكي أدخلت عليه تعديلات شكلية، واستغرقت مدة المفاوضات بشأنه خمسة أيام كاملة!!!

ج - أعلن في وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية، أن الولايات المتحدة الأمريكية، وافقت على هذا القرار الشكلي - الذي ليس له أي قيمة حقيقية - من أجل المحافظة على التحالف المناهض للعراق، والذي حققته أمريكا مع حليفاتها وصديقاتها في «مجلس الأمن» . . !!

د - اختلفت التصريحات بعد صدور القرار على النحو التالي :
- صرح المندوب السوفيتي «يوري فورنتسوف» قائلاً : «إن الاجماع الذي حدث في المجلس بشأن تبني قرار يتعلق بـ «إسرائيل» والفلسطينيين يجب أن يقوي لدى المجلس فكرة حل سلمي سريع لمشكلة «الشرق الأوسط» . .

- طالب مندوب فرنسا «بيارلوي بلان» أن يعمل المجلس بتصميم على طريق حل سياسي للنزاع العربي «الإسرائيلي» الذي لم يعد أحد ينكر أنه ملح، وأضاف أن القرار الذي تبناه المجلس يشكل مرحلة أولى ترحب بها فرنسا، ووصفه بأنه لم يعالج تدهور الموقف في المنطقة وفي القدس بالتحديد، وقال : إن «مجلس الأمن» سيكون مسؤولاً عن تصحيح هذا الوضع .

- ذكر مندوب بريطانيا «سيرديفيس هاني» باسم حكومته - وليس بصفته رئيساً حالياً «لمجلس الأمن» - أنه : «على الرغم من النواقص في القرار، إلا أنه تضمن رسالة مزدوجة : فهو من جهة يُعتبر إدانة واضحة لعمل الشرطة «الإسرائيلية»، ومن جهة ثانية يطلبُ إلى الأمانة العامة للأمم المتحدة إيجاد الطرق والوسائل لتخفيف آلام الشعب الفلسطيني .

- صرح مندوب الولايات المتحدة الأمريكية «توماس بيكيرينغ» بأن القرار لا يُغيّر بأي شكل من الأشكال دور «الأمم المتحدة» في «الشرق الأوسط»، ثم قال : «نحن نريد أن نكون واضحين في تفسير هذا التصويت، يجب أن لا يفسر هذا القرار

بشكل خاطيء؛ إن عمل المجلس هذه الليلة لا يتعلق إلا بالأمور التي يتضمنها القرار، وهو لا يتعلق بأي شكل من الأشكال بمصير عملية سلام في «الشرق الأوسط» ولا يغير دور الأمم المتحدة بهذا الصدد...!!!

وعليه إذا استوعبنا ما لفت مندوب الولايات المتحدة الأمريكية النظر إليه، واستوعبنا موقف «الكيان الصهيوني» من «مجلس الأمن» و«هيئة الأمم المتحدة»، تبين لنا أن هذا القرار لم يقدم شيئاً للمذبحة المروعة التي وقعت في القدس، فضلاً عن أنه يعجز عن تقديم أي شيء بالنسبة لأصل القضية!!! وللمرء أن يتساءل: هل هذا هو نفس «مجلس الأمن» الذي اتخذ ١٢ قراراً في قضية احتلال العراق للكويت، ومن هذه القرارات قرار المقاطعة الاقتصادية وقرار الحصار البحري والبري والجوي، وكان آخرها القرار الذي مكّن جيوش التحالف بقيادة أمريكا من تصحير العراق واعادته إلى ما قبل العهد الصناعي، وذلك قبل أن يقع تحرير الكويت؟! يقع تحرير الكويت؟!

وإنني إذ أطرح هذا السؤال، أطرحه بالرغم من رفضي لكل ما قام به العراق ابتداء من دخوله الكويت في هذه الظروف، وضم الكويت إليه بالقوة، وأعمال السلب والنهب والتخريب التي وقعت، واستباحة حرمان وأعراض الشعب الكويتي، وهذا الرفض ليس لأن الأوراق التي قام بهذه الأعمال، وإنما نرفض هذه الأعمال بصرف النظر عن من قام بها، ولذلك فإن كل ما يقع من هذه الأعمال وما يشبهها مع الفلسطينيين والسودانيين واليمنيين... الخ سواء وقع في فترة الأحداث أو بعد توقف آلة الحرب فإنه مرفوض أيضاً بنفس المقياس...

٣ - الاتجاه الآتي في قضية فلسطين

بدأت قضية فلسطين بقرار ظالم صدر عن الأمم المتحدة ويقضي بغرس الكيان الصهيوني في هذه البقعة المباركة من أرض العرب والمسلمين، ثم تتالت القرارات

التي تدعم وجود هذا الكيان وتساعده على التوسع في الأرض وتشريد وتقتيل أصحاب الحق، وقد ساعد على ذلك غفلة العرب والمسلمين وتبعية الأنظمة القائمة في بلاد العرب والمسلمين للقوى الكبرى العالمية، وانتهى أمر هذه القضية إلى ما يُسعى إلى تحقيقه في هذه الأيام، عن طريق ما سمي «مؤتمر سلام إقليمي» يتم التنازل فيه عن بقية أرض فلسطين والقدس وغزة وجزء من الجولان وجنوب لبنان. . . ونود أن نلفت الانتباه هنا إلى مايلي :

(١) - بدأ التحاور عن طريق خطاب الرئيس الأمريكي بوش، والذي أعلن فيه عناصر مشروعه السلمي في المنطقة بالإعلان عن مبدأ «الأرض مقابل السلام»، وتوفير أرضية مشتركة لتطبيق قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨، ومن خلال صيغة مرضية للجميع، بحيث يكون ذلك هو الإطار الصحيح لإنهاء النزاعات والحروب في «الشرق الأوسط».

وهذا «المبدأ» المذكور يستند إلى خلفية باطلة ومضللة، فهو يجعل «للكيان الصهيوني» الحق في كل شيء؛ فهو إذا تنازل عن أرض كأنه يتنازل عن حق له، وهي أرض احتلها بالقوة وساعده على احتلالها أمريكا والغرب، وإذا طالب «الكيان الصهيوني»، فهو يطالب علاوة على الأرض بالأمن أي لا بد أن تكون له القوة والتفوق العسكري!! أما قرارات «مجلس الأمن» المشار إليها فهي قرارات صاغها الغرب وأمريكا بطريقة يترتب عليها ضياع الحقوق، ويكفي هنا الإشارة إلى التفسيرات التي ظهرت في أمريكا والغرب لهذه القرارات، كما قدم «شامير» إلى «بيكر» دراستين عن «حق إسرائيل» في الضفة الغربية وقطاع غزة. .

وأعلن مندوب «الكيان الصهيوني» لدى الأمم المتحدة «يورام اريدور» نقده لتصريح «بوش» وقال: «إنه يفتقر إلى العوامل الكافية لوضع القرارات الدولية موضع التنفيذ، وأعلن باسم «حكومته»، أن «الكيان الصهيوني» يرفض تفسير قراري «مجلس الأمن» ٢٤٢ و ٣٣٨ على أنهما يلزمان «حكومته» بالانسحاب من كل

الأراضي العربية المحتلة في حرب سنة ١٩٦٧م،

وسئل «أريدور» عن مضمون المفاوضات إذا كانت «حكومته» ترفض سلفاً التقيد بإطار المشاركة، فأجاب بأن الموافقة على حضور مؤتمر السلام لا يشترط الأخذ بالتفسير الأمريكي أو العربي للقرارات الدولية، ذلك أن النصوص - حسب وجهة نظره - تفتح باب الاجتهاد لجدل يصعب حسمه في القرارين المذكورين الخاليين من الإشارة إلى مبدأ «مقايضة الأرض بالسلام». ووصف عملية إعادة شبه جزيرة سيناء لمصر، بأنها المقايضة النهائية التي حددت بواسطتها «إسرائيل» حجم التنازلات وفقاً للقرار ٢٤٢.

(٢) - انتهت حرب الخليج لصالح «الكيان الصهيوني» بما يجعله في الموضع الأقوى في إملاء شروطه في المنطقة فضلاً عن تحقيق مايلي :

أ - إنهاء ما سمي القطيعة بين «الكيان الصهيوني» وموسكو، وتهيأ الجو لإعادة العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية، وذلك ينعكس على استمرار تهجير اليهود السوفييت إلى الأرض المحتلة في فلسطين، والإسراع في نقل أعداد أكبر وفي وقت أقصر، مع استبعاد أي عقبات تعترض ذلك في المستقبل.

ب - موقف «الكيان الصهيوني» أثناء حرب الخليج وبعدها مكنه من الحصول على الأسلحة المتطورة، وهياً الجو لطلب المزيد من المساعدات المالية التي تمكن من بناء المستعمرات والمساكن اللازمة لتسكين السهجرين السوفييت في الأرض المحتلة وفي الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس . . فضلاً عن المطالبة بالتعويضات عن الخسائر التي لحقت باليهود أثناء اضطهاد أوروبا وأثناء حرب الخليج . . .

ج - قامت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بمطالبة أصدقائها في السعودية والكويت والإمارات الخليجية - من قبيل رد الجميل - بإيقاف المقاطعة الاقتصادية

للشركات التي تتعامل مع «الكيان الصهيوني»، وربما تحدث اتفاقات إقتصادية مستقبلية، فضلاً عن محاولات فتح الطريق للاعتراف المباشر وما يترتب عليه من علاقات ومعاملات، بما يضمن «للكيان الصهيوني» علاقات ومعاملات إقتصادية مباشرة مع الدول الغنية في المنطقة . .

النتيجة :

من كل ما سبق يتبين أن دور المجتمع الدولي والمؤسسات العالمية وبخاصة «مجلس الأمن الدولي» فيما يتعلق بقضايا «الشرق الأوسط» وفلسطين، قد انحصر في تنفيذ ما أراده الدول الكبرى وخاصة صاحبة المقاعد الدائمة في «مجلس الأمن الدولي»، والآن وبعد أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية صاحبة اليد الطولى في توجيه السياسة العالمية، فإن دور «مجلس الأمن» من الآن فصاعداً سينحصر في تنفيذ مخططات الولايات المتحدة الأمريكية في حدود ما تستطيع أن تفرضه على أوروبا، ويضاف إلى ذلك أنه فيما يتعلق بقضية فلسطين فإن «مجلس الأمن» لا حيلة له، وينحصر دوره في تنفيذ ما تريده حكومة «الكيان الصهيوني»، فالولايات المتحدة الأمريكية لا تملك القدرة على تنفيذ شيء لا توافق عليه حكومة «الكيان الصهيوني» . .

تلك حقيقة يجب أن ينتبه إليها حلفاء الولايات المتحدة وأصدقائها، كما يجب أن تعلمها الشعوب الإسلامية، وأن يتفاعل الجميع معها تفاعلاً يحلّهم من المخاوف والغفلة والأهواء .

ثالثاً: كلمة حول «حقوق الإنسان»

احتل الحديث عن حقوق الإنسان، أثناء أزمة الخليج، مكاناً بارزاً في وسائل الإعلام العالمية والمحلية، وصورت الأعمال التي قام بها الجيش العراقي في الكويت على أنها فظائع لم ترتكب من قبل . . ولا شك في أن ما وقع في الكويت من المآسي الرهيبة فظيع لا يصح السكوت عليه أو التهوين من شأنه إلا أن رفع

الظلم بظلم أفظع منه وأشنع ليس من طبيعة الإنسان المتمدن . .
لذلك من حقنا أن نسأل: هل كان الذي صنع باسم «حقوق الإنسان» انتصافاً
للشعب الكويتي؟ أم أن احتلال الكويت كان مسوغاً لتحقيق المخطط الأمريكي
الرامي إلى وضع يده على نرواتنا ليتحكم بنا وبغيرنا؟

إن حقوق الإنسان في ظل الشرعية الدولية التي تشرف أمريكا على تطبيقها
تخص الشعوب الأوروبية والشعب الأمريكي أو من يتكرم عليهم ساسة الغرب بهذه
الحقوق، ونضرب لذلك مثلاً ما وقع ويقع في فلسطين . . فننقل من كلام الأستاذ
عصام العطار ما يعبر عن أخلاق الغرب في التعامل مع مصطلح «حقوق الإنسان» .

«ولكن ما هي حقوق الإنسان عند هؤلاء؟

إن حقوق الإنسان عند هؤلاء جميعاً تنحصر - أو تكاد تنحصر - الآن، في حق
الإنسان اليهودي السوفيتي بأن يهاجر إلى فلسطين؛ إلى الأرض المغتصبة التي
طُرد منها أهلها وسكانها الأصليون، ليأخذ مكان من طرد من أهلها، أو لِيُغْتَصَبَ له
أرض جديدة، ويُطرد من أجله مواطنون فلسطينيون آخرون.

وفي الاتحاد السوفيتي الآن ألوف، ومئات ألوف، من اليهود الذين يُراد لهم،
ويراد منهم، أن يهاجروا إلى الأرض المحتلة ليتعزز بهم الاغتصاب، وتتصاعد بهم
المأساة، التي لا تكاد تصدق هولها الأبصار والأسماع والعقول.

* * *

أما «حقوق الإنسان» الفلسطيني . . أما حياة الإنسان الفلسطيني، فليس لها
ذكر، وليس لها مكان، بل ياويل من يتحدث عن هذه الحقوق في الولايات
المتحدة، ومن الولايات المتحدة، مهما قل أو خفت أو أبهم هذا الحديث.

إن الفلسطيني العربي ليس له حق في شيء؛ لا حرج في أن يطرد ويطارد،
ويقمع ويسحق ويقتل، في الأرض المحتلة أو خارجها، وأن يمنع حيثما كان من

الحركة والكلام، وأن يسدل على مآسيه المتتابعة ستار بعد ستار، بلا وخزة ضمير، ولا خلجة إحساس، ولا مثقال حبة من خردل من مبالاة.

إنني أخط هذه الحروف، ودماء الطلبة والطالبات، والشباب والشابات، تنسكب غزيره كريمة على الضفة الغربية، وفي القدس، وفي قطاع غزة، وفلسطين العربية الإسلامية، تغمض جفونها على الجراح والموت، وتفتح جفونها على الموت والجراح. . والكفاح، وتتحدى بأكبادها العارية الدروع والرصاص، فيمزق أكبادها، ولا يمزق إيمانها، ولا إرادتها، ولا كرامتها، الرصاص. .

أين «حقوق الإنسان» يا من تتشدقون في الولايات المتحدة الأمريكية بحقوق الإنسان؟!!

ألا ترون ما يقع في فلسطين؟!!

ألا ترون ما يقع في آسيا وإفريقية وأمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى؟!!

ألا ترون ما يقع في الولايات المتحدة نفسها من إهدار لهذه الحقوق؟!!

إنكم لم تعودوا تستطيعون أن تخدعوا الشعوب بالشعارات الفارغة الزائفة، إن الشعوب ترى واقعكم الذي يكذب كلامكم، وتراكم كيف تدوسون حقوق الإنسان بالأقدام.

إنكم لم تحتملوا أن يكون لحقوق الإنسان الفلسطيني عندكم صوت واهن خافت بين ملايين الأصوات الشديدة المدوية، فخنقتم هذا الصوت، وأغلقتكم مكتب الإعلام الفلسطيني الصغير في واشنطن، وتحاولون الآن جهدكم أن تغلقوا مكتب منظمة التحرير الصغير لدى «الأمم المتحدة» في نيويورك!!!

لماذا كل هذا التجبر والتكبر والظلم والتزوير والخداع؟!!

أليس لكم ضمير، أليس عندكم إحساس، ألا تخافون الله، وأنتم تدعون الإيمان بالله؟!!

ولكن ما لي أستغرب موقفكم من «حقوق الإنسان» في فلسطين، وأنا أرى يدكم

وسيفكم، أو إقراركم وسكوتم، أو دفاعكم وحمايتكم للغاصبين الظالمين
المعتدين، وراء كل نكباتنا وفواجعنا ومواجعنا في فلسطين.

* * *

والآن . .

إذا كانت «حقوق الإنسان» عند الولايات المتحدة الأمريكية كما ذكرت، وكان
موقف الولايات المتحدة من «حقوق الإنسان» الفلسطيني ما ذكرت، وكان موقف
معظم الدول الغربية مثل هذا الموقف، أو قريباً من هذا الموقف . .
إذا كان الموقف كذلك بالنسبة لهؤلاء أو أكثر هؤلاء، فأين موقف العرب
والمسلمين؟!

لماذا ننتظر النصفه والعون من غيرنا، ونحن قاعدون أو عاجزون، لا نحسن إلا
أن نطلب وننقد؟!

لماذا لم يكن لنا، ولا يكون لنا، صوتنا المرتفع المنتشر كغيرنا، في هذا
المجال، وفي كل مجال، وفعلنا المؤثر البصير المسؤول؟!

وإذا ارتفع صوت غيرنا بالباطل، فلماذا لا يرتفع صوتنا بالحق الواضح الدامع،
ولا نقف معه الوقفة الصادقة الباسلة التي ينتصف بها من الباطل، ويتنصر بها على
الباطل؟!

أين ملوكنا ورؤساؤنا، وحكوماتنا وسفاراتنا، وأجهزتنا التي لا حصر لها ولا
عد؟! (٢)

رابعاً: اختبار «النظام العالمي الجديد» بالمقارنة بين حرب الخليج وقضية فلسطين:
لتحقيق هذا الاختبار، أحاول الإجابة على سؤالين:

● هل انتصر «مجلس الأمن» فعلاً في ظل «النظام الدولي الجديد» في حل
المشكلات التي ظهرت بسبب دخول الجيش العراقي إلى الكويت وضمها إلى

العراق بالقوة العسكرية؟

● وهل يمكن لنفس المجلس - إن كان حقق انتصاراً - أن يحقق انتصاراً مماثلاً في قضية نتج عنها مشكلات ضخمة خلال عشرات السنين ، هي قضية فلسطين؟!

وللإجابة على هذين السؤالين سأحاول فيما يلي التعرض لبعض الآراء التي نشرت ثم أستعرض قراءة للبيان الصادر عن لقاء «دول إعلان دمشق - وهي دول الخليج الست ومصر وسوريا - مع وزير خارجية أمريكا» ، وأخيراً أستخلص الجواب المعبر عن وجهة نظر كاتب هذه السطور:

■ استعراض لعدد من الآراء:

١ - المقال الأسبوعي لمجلة الحوادث عدد رقم ١٧٩٢ الصادر يوم الجمعة ٨ آذار «مارس» سنة ١٩٩١ ، والذي عنوانه: «النظام الدولي الجديد يطاول العالم الإسلامي وليس الأمة العربية فقط!»، تضمن تحليلاً للعلاقات التي كانت بين بلاد العالم الإسلامي والاتحاد السوفيتي وبلاد غرب أوروبا وأمريكا، ثم أشار إلى نتيجة هامة قائلاً: «وهكذا يكون خط التضامن السياسي والدبلوماسي في المعركة ضد العراق، أرجح قليلاً من التضامن على طريق «النظام الدولي» الواحد. فكثير من الذين هم على استعداد للمضي في مواجهة النظام العراقي، ليسوا متأكدين من بواطن «النظام الدولي» الموعود»

ويستمر المقال موضحاً: «لذلك فالحذر قائم في كل مكان في وجه نظام لم يسلك حتى الآن الطريق الوحيدة الكفيلة بإعطائه عنواناً جذاباً لشعوب الشرق الأوسط وحكامه، وهو حل القضية الفلسطينية حلاً عادلاً ينقذ العرب من قلق الحروب، ويوفر المصداقية لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية المتهمة بحق بالتماشي مع السياسة «الإسرائيلية»، ويعطي القضية الفلسطينية شكلها القانوني ولو المتواضع».

٢ - علّق أحد مراسلي «التلفزيون» الألماني في فترة إذاعة المساء للبرنامج الأول

ARD في أخبار الساعة العاشرة والنصف، وذلك أثناء إرسال خبر اجتماع المعارضة العراقية في لبنان يوم الاثنين ١١/٣/١٩٩١م، وقد ضم هذا الاجتماع عدداً من رجال المعارضة بلغ ٣٥٠ فرداً، وهم يمثلون عدداً من الأحزاب والمشارب المختلفة فقال: «لقد وحد هؤلاء جميعاً المعارضة للنظام القائم في العراق، ولكن هذه الوحدة لا تدوم إذا بدأت محاولة لتكوين حكومة معارضة، بسبب خلاف المناهج والأهداف لكل جهة معارضة، الأمر الذي لم يشجع الولايات المتحدة الأمريكية على مساندة هذه المعارضة حتى الآن!!!»

٣- في حوار مع وزير خارجية الظل في حكومة حزب العمال البريطاني، والذي نشر في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١١/٣/١٩٩١م، وكان عنوانه: «حرب الخليج أكدت على ضرورة قيام تعاون إقليمي ودولي لمواجهة الأزمات وضمان الاستقرار» كشف النقاب عن مسائل هامة ونقتبس هنا الإجابة على سؤالين.

س : كيف يمكن التأثير على الأحزاب الرافضة للسلام والجمهور الذي يدعمها - يعني في فلسطين المحتلة -؟

ج : لا بد أن تكون هناك انتخابات عامة في «إسرائيل»، وستتم بكل تأكيد العام المقبل، وخلال ذلك فإن «الاسرائيليين» سوف يقررون ويحددون خياراتهم المستقبلية على ضوء مصالحهم وتقييمهم للأوضاع بشكل منطقي وموضوعي، كما إنني واثق من أن الدول الخمس الدائمة العضوية في «مجلس الأمن الدولي» وفي مقدمتها الولايات المتحدة، سوف تقوم بجهود لإجبار الحكومة «الإسرائيلية» على تغيير سياستها.

س : ولكن لا توجد عجلة في عدد من العواصم الغربية لعقد مؤتمر دولي، وتستند هذه الدول إلى قول هو أنه: يجب التحضير بشكل كاف لمؤتمر كهذا لضمان نجاحه؟

ج : لقد أصدرت الأمم المتحدة قراراً بهذا الخصوص يحمل الرقم ٦٦١، ولهذا

الغرض ذهب زعيم حزب العمال البريطاني «نيل كينوك» للقاء الأمين العام للأمم المتحدة في نيويورك، ولمناقشة كيفية تسهيل عقد هذا المؤتمر الدولي في أقرب وقت ممكن؟»
وإنني أعتقد أن منطق الحديث يختلف تماماً عن منطق الحديث الذي كان أثناء معالجة قضية ما سمي «أزمة الخليج»!!!

٤ - وردت في الصحف الألمانية تعليقات كثيرة حول حرب الخليج ومنطقتها، أقتبس هنا بعض ما جاء في صحيفة «جنرال انتسايجر» بتاريخ أول مارس سنة ١٩٩١م: «إن الرئيس الأمريكي بوش يأمل حالياً في تجاوز الركود الاقتصادي الذي تمر به البلاد، كما تأمل المؤسسات الاقتصادية الأمريكية في أن يكون لها نصيب الأسد في إعادة تعمير الكويت التي تقدر تكاليفها بما يتراوح ما بين ٦٠ و ١٠٠ مليار دولار أمريكي».

وأشارت الصحيفة إلى أنه: «تم الاتفاق بين الحكومتين الأمريكية والكويتية على توزيع العقود والالتزامات الخاصة بإعادة تعمير الكويت، بحيث تحصل الدول التي قدمت أبنائها إلى معركة التحرير على الجزء الأكبر من الصفقات المقبلة، الأمر الذي ينعكس حتماً على ازدهار القطاعين الاقتصادي والصناعي الأمريكي، ذلك أن اختصار فترة الحرب قلص من احتمال اتساع الركود الاقتصادي ونتائجه السلبية»

أما صحيفة «دي فلت» الأسبوعية بتاريخ ٨/٣/١٩٩١م فقد صدرت صفحتها الأولى بمقال عنوانه «نصر ولكن لا سلام» تحدثت فيه عن صورة العداء التي كانت قبل الحرب والتي أوجدتها الحرب وفي موضوع جانبي بعنوان «نموذج بلا قيمة» أشارت إلى أن النموذج الذي اتبع في معالجة «أزمة الخليج» لا يمكن اتباعه في معالجة قضايا مشابهة أخرى ولا بد من العودة إلى أسلوب السلام في معالجة القضايا. . وذكرت الصحيفة بأن: «مصادقية أمريكا تظهر إذا تمكنت من تطبيق نفس النموذج داخلياً وجعلته ممثلاً في صالة الأمم المتحدة، وقابلاً للتطبيق. .!!»

٥ - في مقابلة صحفية مع «جميل الطريفي» أحد الشخصيات الفلسطينية في الأرض المحتلة - والذي سبق أن التقى مع شامير يوم ١٢/٧/١٩٨٩م - والتي نشرت في الأهرام الدولي بتاريخ ١١/٣/١٩٩١م تحت عنوان: «الشرعية الدولية التي كانت مظلة حرب الخليج ينبغي أن تظل المشكلة الفلسطينية» نقبس من هذه

المقابلة السؤال التالي والإجابة عليه:

س : بالنسبة لزيارة بىكر المقبلة للمنطقة، هل ترى أنه سيحدث تغيير جذري في اتجاه الحكومة «الإسرائيلية» لحل القضية الفلسطينية؟ أو أنه ستحدث

ضغوط أمريكية على «إسرائيل»؟

ج : من المفروض أنه يتعين على الدولة التي أقامت هذا التحالف في الخليج من أجل «الشرعية الدولية» أن تضغط على «إسرائيل»، إلا أننا لا نتصور أن تقوم طائرات اف - ١٦ أو جاجوار أو ترنادو بقصف تل أبيب لاجبار «إسرائيل» على تطبيق القرارات الدولية وقرارات «مجلس الأمن».

ولكن الولايات المتحدة وحلفاءها والمجتمع الدولي الذي يتحدثون عنه قادرون إن أرادوا أن يتعاملوا مع «الشرعية الدولية» وأن يجبروا «إسرائيل» على هذا التعامل، لأن «الشرعية الدولية» لا تتجزأ، ولا يجوز أن تقدم «شرعية دولية» في الكويت، وتلغى هذه الشرعية في فلسطين

■ قراءة في بيان لقاء دول إعلان دمشق مع وزير خارجية أمريكا.

١ - نص صلب فقرات البيان كما نشرت ترجمته العربية في جريدة الشرق الأوسط بعدد رقم ٤٤٨٦ بتاريخ ١١/٣/١٩٩١م ص ٤.

أعرب الوزراء عن تقديرهم للمساهمة الحاسمة للولايات المتحدة في تحرير الكويت ومساندة «الشرعية الدولية»، كما أعربوا عن تقديرهم لما تضمنه خطاب فخامة الرئيس جورج بوش أمام «الكونجرس» الأمريكي الذي عالج فيه بإيجابية

قضايا الأمن في المنطقة والقضية الفلسطينية .
وأعربوا عن تصميمهم على مواصلة العمل مع رئيس الولايات المتحدة ووزير
خارجيتها من أجل تحقيق نجاح في هذه القضايا .
وأعربوا عن إدراكهم لأهمية العمل المشترك من أجل منع تكرار عدوان ممانل
لما حل بالكويت . ولقد جاء «إعلان دمشق» معبراً عن منظور هذه الدول في القضايا
المؤثرة على مستقبل الأوضاع الأمنية والسياسية والاقتصادية في المنطقة .

وستعمل هذه الدول وفق ميثاق جامعة الدول العربية ، وميثاق الأمم المتحدة ،
متمسكة بالأهداف والمبادئ التي تضمنتها هذه المواثيق ، وبشكل خاص فإن
تعاونها يتركز على احترام وتعزيز الروابط التاريخية والأخوية ، وعلاقات حسن
الجوار ، والالتزام باحترام وحدة الأراضي والسلامة الإقليمية ، والمساواة في السيادة
وعدم جواز اكتساب الأراضي بالقوة ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والالتزام
بتسوية المنازعات بالطرق السلمية .

وتسعى هذه الدول إلى جعل «الشرق الأوسط» منطقة خالية من أسلحة الدمار
الشامل ، وتعمل على تحقيق ذلك من خلال الأجهزة الدولية المعنية .
وتعتبر هذه الدول أن الترتيبات التي يتم الاتفاق عليها فيما بينها بمثابة الأساس
الذي يمكن البناء عليه من أجل تحقيق نظام عربي جديد .

كما تعتبر أن المرحلة الحالية التي أعقبت تحرير دولة الكويت توفر أفضل
الظروف لمواجهة التحديات التي يتعرض لها الأمن والاستقرار في المنطقة ،
ولتحقيق حل عادل وشامل للصراع العربي - «الإسرائيلي» وقضية فلسطين وتعتقد
هذه الدول بأن عقد مؤتمر دولي للسلام تحت رعاية الأمم المتحدة هو إطار مناسب
لإنهاء الاحتلال «الإسرائيلي» للأراضي العربية وضمان الحقوق الوطنية للشعب
الفلسطيني على أساس قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة .

وستسعى هذه الدول إلى تحقيق وتنفيذ اتفاق الطائف الخاص بالقضية اللبنانية

من أجل مساعدة السلطة اللبنانية في هذا الشأن وكذلك فإنها تطالب بالتنفيذ الكامل وغير المشروط لقرار «مجلس الأمن» رقم ٤٢٥ .

ومع تأكيد حرصهم على احترام سيادة العراق ووحدة أراضيها الإقليمية، ومع ذلك فإنهم منشغلون بما يجري حالياً في العراق وبما يقوم به النظام العراقي لقمع انتفاضة الشعب العراقي .

يشعر وزراء خارجية الدول الأطراف في إعلان دمشق ووزير خارجية الولايات المتحدة أن اجتماعهم اليوم يشكل فرصة فريدة ليس للاحتفال بتحرير الكويت فحسب ولكن لإعادة تأكيد التزامهم للبحث عن الأمن والسلام في منطقة الشرق الأوسط . إن هذا الواجب لا تتحمله الحكومات الممثلة هنا اليوم فقط ولكن تتحمله شعوب المنطقة جميعها والأطراف الأخرى من خارج المنطقة التي ترغب في القيام بدور بناء .

إن دحر العدوان الذي ارتكبه صدام حسين يعد انتصاراً للتحالف الدولي الذي ساهموا جميعاً فيه، كما يعد انتصاراً للأمم المتحدة ولسيادة القانون . ولكن لا ينبغي الاكتفاء بهذا الانجاز الذي حققوه، فإن هناك الكثير مما ينبغي عمله .

إنهم متفقون على أن نقطة البداية لتعاونهم وجهودهم المشتركة لابد أن تنطلق من التزامهم المتجدد والثابت بالمبادئ التي يتضمنها ميثاق الأمم المتحدة وبصفة خاصة احترام السيادة وسلامة الأراضي وفض المنازعات بالطرق السلمية . ومن هذا المنطلق فإن عليهم مواجهة التحديات الصعبة التي أمامهم وهم متمسكون بهذه المبادئ وبنفس العزم والتصميم الذي استطاعوا به إلحاق الهزيمة بصدام حسين .

إن عليهم سوية البحث عن ترتيبات أمنية صلبة في منطقة الخليج بقيادة دول المنطقة ذاتها .

إن عليهم سوية البحث عن سبل التحكم في انتشار أسلحة الدمار الشامل ووسائل إطلاقها .

إن عليهم سوية البحث عن وسائل تشجيع التنمية والتعاون الاقتصادي .
إن عليهم سوية أيضاً البحث عن حلول عادلة ودائمة للصراعات الإقليمية
وبصفة خاصة النزاع المأساوي بين الدول العربية والفلسطينيين و«إسرائيل» .
إنهم لا يقللون من صعوبة هذه التحديات ولكنهم يتعهدون بالعمل متعاونين
بمشاركة الأطراف المعنية والبناءة الأخرى لمواجهةها والتغلب عليها . إنهم سوية
يستطيعون أن يتساعدوا على جعل أزمة الخليج مدخلاً إلى مستقبل للمنطقة أكثر
أمنًا وأكثر سلاماً

٢- ملاحظات على البيان : يمكن ذكر عدد من الملاحظات باختصار على
النحو التالي :

أ - إن الذي يقرأ البيان بعناية ويراجع مقررات المؤتمرات العربية السابقة سواء
كانت مؤتمرات قمة أو وزراء خارجية ، والذي يعرف موقف الولايات المتحدة من
القضايا العربية والإسلامية يستطيع أن يقول بصراحة ووضوح أن هذا البيان من
صياغة الوزير بيكر فهو يعكس سياسة الولايات المتحدة تماماً ولا يعالج القضايا
العربية وقضايا المنطقة من المنطق العربي والإسلامي !!!

ب - عندما كان الحديث عن العدوان بالقوة سواء على الكويت أو شعب العراق ،
سطرت العبارات التي تدمغ نظام «صدام حسين» - ونحن ندين هذا النظام - ، ولكن
البيان خلا من الإشارة إلى المعاملة غير الإنسانية التي تعرض لها الشعب
الفلسطيني أثناء حرب الخليج ، فما فرض في الأرض المحتلة من حظر التجول
الشامل والدائم خلال هذه المدة لم يسبق أن تعرض له أي شعب آخر في التاريخ ،
فضلاً عن أعمال العنف التي تستخدم من عشرات السنين وبصفة خاصة خلال فترة
الحرب . .

ج - يؤكد البيان على التعاون في حل النزاعات في المنطقة بقوله : «التزامهم

المتجدد والثابت بالمبادئ التي يتضمنها ميثاق «الأمم المتحدة»، بصفة خاصة احترام السيادة وسلامة الأراضي وفض المنازعات بالطرق السلمية» فهل كان هذا التأكيد قائماً أثناء التعامل مع أزمة الخليج؟ وهل أعطي للحل السلمي الوقت الكافي؟ لقد صبرت الأمم المتحدة على النزاع الفلسطيني أكثر من ٤٤ عاماً حتى الآن، وعند العرب والولايات المتحدة الاستعداد وفق هذا البيان لانتظار سنوات أخرى إن لم يكن أكثر!! لماذا لا تحدد مدة معلومة على الأقل؟!

د - لقد وقفت طويلاً أمام الفقرة التي نقول: «إن عليهم سويًا البحث عن حلول عادلة ودائمة للصراعات الإقليمية وبصفة خاصة النزاع المأساوي بين الدول العربية والفلسطينيين و«إسرائيل» وتساءلت:

- لماذا يُستخدم في مقابل عبارة «إسرائيل» عبارة «الفلسطينيين» فهل لا يوجد مسمى يقابل «إسرائيل»؟ إذا كنا لا نريد أن نقول - نحن العرب - أرض فلسطين، فلماذا لا نتعامل على الأقل بقرارات «الأمم المتحدة» وقرارات «مجلس الأمن»؟ أم أننا يجب أن نوافق على ما تطالب به حكومة شامير!! إن البيان تجنب ذكر الدولة الفلسطينية على الإطلاق!!

- هذه العبارات الغامضة هي سمة البيانات والقرارات التي حرص اليهود أن تكون في الأوراق الرسمية، حتى يدور حولها الخلاف، ولقد ذكرني هذا البيان بهذه الصياغة بواقعة حدثت في ألمانيا قبل أكثر من ستين، عندما تحدث رئيس البرلمان الألماني عن أعمال اليهود في ألمانيا أثناء خطاب تاريخي بمناسبة تتعلق باليهود، إذ كان الحديث بهذه الصفة سبباً في استقالته من منصبه السياسي؛ والعبارة التي تذكرتها هي قوله في مقابلة مع المحطة الأولى للتلفزيون الألماني: «الآن علمت أن الإن... ان لا يستطيع أن يسمى الأمور بأسمائها»!! إذا كان هذا ينطبق على وزير الخارجية الأمريكي، فهل ينطبق ذلك أيضاً على وزراء (٨) دول عربية؟!

هـ - وأخيراً لقد خلا البيان من أي عبارة تأسف لما أصاب مئات الألوف من

الأفراد والأسر في هذه الحرب المدمرة، التي قامت طائرات التحالف فيها بما هو أفظع عشرات المرات مما قام به الحيش العراقي، إن ما يعانيه شعب العراق لا علاقة له بتحرير الكويت، إنما هو ظلم جديد بالإضافة إلى الظلم الذي يعانيه الشعب من نظام الحكم البعثي .

■ الإجابة على الأسئلة المطروحة

١ - الإجابة على السؤال الأول : هل انتصر «مجلس الأمن» في أزمة الخليج؟
من خلال ما ذكر، وبالرجوع إلى عدد من الدراسات التي ظهرت في كثير من وسائل الإعلام، ومن خلال اقتناعي بما اطلعت عليه حتى الآن أستطيع أن أقول بأن «مجلس الأمن» لم ينتصر في أزمة الخليج، بل سببت الأيام أنه من أكبر الخاسرين في هذه الأزمة، إذ تحول إلى أداة في يد القوى الكبرى الوحيدة في هذا العالم بعد سقوط المعسكر الشرقي وحاجته للمعسكر الغربي، فقد استخدمت «الشرعية الدولية» و«قرارات مجلس الأمن» شعارات وأدوات لتنفيذ مخطط أمريكي صهيوني في المنطقة بدأت حلقاته من أيام الرئيس الأمريكي «جيمي كارتر» وكانت عملية احتلال الكويت - رغم أن الولايات المتحدة الأمريكية لها ضلع كبير فيها - هي المسوغ لتنفيذ هذه الحلقة الهامة من حلقات المخطط المشار إليه .
وعليه فإن الذي نجح هو الإدارة الأمريكية والذي مكنها من ذلك النفوذ السياسي والاقتصادي، بالإضافة إلى العلاقات القائمة مع غرب أوروبا وحمايتها لعدد من الأنظمة العربية في منطقة الخليج التي ربما تصل إلى حد «الوصاية» على هذه الأنظمة!!

٢- إجابة السؤال الثاني : هل سيتنصر النظام الجديد في حل قضية فلسطين؟
من خلال ما ذكر وما نقرأ بأن تغييراً جديداً قد طرأ على المنطقة، وأن نظاماً عالمياً جديداً قد ظهر، وأن ذلك سيساعد على حل القضية الفلسطينية؛ نعم لقد حدث تغيير جديد في المنطقة، فالوضع الآن يختلف عما كان عليه قبل أزمة الخليج

ووقوع الحرب، ولكننا إذا نظرنا للأحداث بعمق وأدركنا الخلفيات التاريخية يمكننا التعرف على حقيقة هذا التغيير وسأشير هنا إلى مقياس واحد لقياس هذا التغيير الذي وقع ولتحديد المستفيد من هذا التغيير، هو الزيارة التي قام بها وزير خارجية أمريكا لعدد من دول المنطقة و«إسرائيل» والظروف التي رافقت هذه الزيارة والنتائج المعلنة لها على النحو التالي:

أ - قبل الزيارة وصلت الأوضاع في المنطقة إلى الصورة التالية:

عدد من البلاد العربية منها السعودية والإمارات طلبت من الولايات المتحدة الأمريكية توفير الحماية لها من عدوان «صدام حسين»، كما طلبت حكومة الكويت من الولايات المتحدة الأمريكية مساعدتها في تحرير الكويت، فجاءت القوات الأجنبية بزعماء أمريكا إلى المنطقة وأخذ النفوذ الأمريكي يتزايد ويقوى حتى أنها تتصرف الآن كما لو كانت هي «الوصية» على عدد من البلاد العربية وخاصة بعد انتصار قوات التحالف في حرب الخليج واحتلال جنوب العراق ..

أما «إسرائيل» فبالرغم من حاجتها إلى حماية أمريكا من الصواريخ العراقية التي سقطت على الأرض المحتلة في فلسطين، إلا أنها رفضت وبكل شدة أن تقوم أمريكا بدور الوصي عليها، بل لقد وصل الأمر إلى الإعلان بأن الرئيس الأمريكي يطلب إلى حكومة شامير أن تضبط الأعصاب ولا تقوم بالرد على صواريخ العراق - علماً بأن القوات الإسرائيلية ما كان لها أن تقوم بما قامت به قوات التحالف، فكل هذه القوات كانت تقوم بما هو أفضل -، واحتفظت «إسرائيل» بحقها في الرد المستقبلي، بل إن «الكنجرس الأمريكي» اتخذ قراراً بحق «إسرائيل» في الرد!!!، فضلاً عن طلبها، في مقابل عدم الرد الفوري، كميات هائلة من الأسلحة المتطورة، والمزيد من المساعدات المالية لإعادة بناء ما سببته الصواريخ من أضرار وخسائر، والمساعدة في بناء مساكن جديدة لتوطين المهجرين من اليهود الذين يخرجون من الاتحاد السوفيتي .

ب - أما نتائج زيارة وزير خارجية أمريكا للمنطقة فقد عكست الوضع الجديد إلى حد كبير، إذا نظرنا إلى النتائج المعلنة لها . فبالرغم من أن البلاد العربية التي زارها «بيكر» لا تتضمن «الأردن» إلا أننا نجد أن البلاد العربية الموجودة في المنطقة بالإضافة إلى مصر وسوريا قد رحبت بالزيارة، ووصفت نتائج الزيارة بأنها إيجابية وذهب البعض مثل «مبارك» إلى أنها كانت إيجابية للغاية، ولم تخرج لوسائل الإعلام آراء معارضة لما جاء به «بيكر» من أفكار، أو بعبارة أخرى وافقت البلاد العربية المعنية على ما تراه أمريكا لمستقبل المنطقة .

أما الجانب «الإسرائيلي» فقد أعلن رفضه للأفكار الأمريكية ليس فقط أثناء الزيارة، وإنما بعد أن أعلن «بوش» صلب هذه الأفكار في خطابه الذي أعلن فيه إيقاف الحرب، ووجدت أمريكا وأوروبا من «شامير وليفني» نفس المواقف التي كانت قبل أزمة الخليج، وربما تشددت إدارة شامير في مطالبها بما يتناسب مع وضعها الجديد الذي خرجت به بعد الحرب .

ومن ذلك يتبين أن القضية الفلسطينية لن تحل حلاً عادلاً، ولا حتى وفق ما سمي «الشرعية الدولية»، وإنما ستحل كما تريد أمريكا بعد موافقة «إسرائيل»، ولا أتصور أن أحداً من العرب سيتجرأ على المطالبة بمعاملة «شامير» ونظامه بما عومل به «صدام حسين» ونظامه، وإنما ستظهر الأصوات التي تنادي بالواقعية، وقبول الأمر القائم والموافقة على ما يقدم لنا وإلا حرماننا منه مستقبلاً، والعاقلة من يتذكر قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقْرَمُوا اللَّهَ مَثْنً وَفِرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ حتى نكتشف الطريق الصحيح ولا نسلم بالأمر الواقع بحال من الأحوال.

-
- (١) مجلة الإنسان، تصدرها دار الأمان للصحافة والنشر، باريس - فرنسا، العدد الثالث - السنة الأولى، جمادى الثانية سنة ١٤١١هـ (ديسمبر - كانون الأول سنة ١٩٩٠م)، ص ٧٣.
- (٢) مجلة الرائد، تصدرها الدار الإسلامية للإعلام، بون - ألمانيا الاتحادية، العدد ١٠٥ جمادى الأولى سنة ١٤٠٨هـ (كانون الأول - ديسمبر سنة ١٩٨٧م)، ص ٢ - ٥.

المبحث الخامس

أسئلة تتعلق بأحداث الخليج

لقد صاحب أحداث الخليج قبل وأثناء وبعد الحرب أسئلة كثيرة، منها ما وجد الإجابة، وأخرى بقيت دون إجابة، ومنها ما سيجد الجواب بعد فترة من الزمن، إذ أن الحروب لها أسرارها التي تظهر بعد حين من الدهر، وسأحاول في هذا المبحث الإجابة على بعض الأسئلة التي أعيدت. أنها مهمة، وستكون الإجابة ابتداءً توضيح الصورة من ناحية، وأخذ العبرة والاستفادة من الدروس من ناحية أخرى، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الإجابات ليست حكماً على النوايا، فالنوايا لا يعلمها إلا الله تعالى وصاحب الشأن نفسه، وإنما ستكون الإجابة - بإذن الله تعالى - مع استيعاب قول الرب عز وجل: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (التوبة: ١٠٥).

كما سأعتمد في الإجابة منهج الاستقراء والتحليل لما صدر مباشرة عن جهة القرار أو ينسب إليها سواء من قبل الموالين أو المخالفين، مع استيعاب التاريخ وما نشر عن طريق وسائل الاعلام المحلية والدولية التي تَمَكَّنْتُ من مراقبتها وتبنيها.

س ١ : لماذا دخل الجيش العراقي الكويت؟
يمكن إجمال الآراء التي ذكرت في الإجابة على هذا السؤال ومناقشتها باختصار، ثم الوصول إلى نتيجة على النحو التالي :

١ - هناك من قال بأن السبب يرجع إلى الرغبة في تحقيق الوحدة الاندماجية بين الكويت والعراق، فالكويت كانت محافظة من محافظات العراق، ولا بد من عودة الجزء إلى الكل .

وأقول: إن مطلب الوحدة بين البلاد العربية والإسلامية مطلب حق لأنه يستند إلى تعاليم الإسلام العظيم، وليست القضية موضع البحث هي : هل نريد الوحدة أم لا نريد؟! فالحدود المصطنعة بين بلاد العرب والمسلمين إنما أقامها أعداء أمتنا، ولا يتمسك بها إلا أصحاب المصالح في بقائها والمتنفعون من وجودها محلياً وعالمياً، وإن من دواعي العجب والدهشة؛ أن البلاد الأوروبية - ذات اللغات المختلفة والمذاهب المتعددة، والتي قامت بينها نزاعات وصراعات وحروب دامت رداً طويلاً - تسير بخطى سريعة نحو إزالة الحدود التي بينها - وخاصة بعد سقوط جدار برلين - وإقامة وتكوين البيت الأوروبي الواحد - كما عبر عنه جورباتشوف -، وفي ذات الوقت تجتهد أنظمة أوروبية كثيرة بالتعاون مع أمريكا في تقسيم البيت الإسلامي، وتأصيل هذا التقسيم بإقامة مناطق منزوعة على الحدود يرفرف عليها علم الأمم المتحدة!!!

إن العمل على توحيد البلاد الإسلامية لا يصح أن يكون محل نقاش!! ولكني ألفت النظر إلى أهمية توفير المناخ المناسب، واتخاذ الأسباب التي تسكن من تحقيق الوحدة الحقيقية الدائمة والمستقرة، فقد عاصرنا نماذج من التوحيد توفر لها ذلك، كما حدث في توحيد ألمانيا - رغم أن دينها ليس الإسلام -، وعاصرنا نماذج من الوحدة الاندماجية لم يتوفر لها ذلك، فلم تستمر طويلاً، كما حدث في وحدة مصر وسوريا في عهد عبد الناصر، وهذه «الوحدة» الأخيرة بين العراق والكويت .

أما سبب رفضي لدخول الجيش العراقي الكويت، ورفضي لضم الكويت إلى العراق بالصورة التي تمت فيرجع إلى اقتناعي بأن منطق القوة العسكرية في التعامل بين العرب والمسلمين، في ظروف بلادنا وعصرنا يؤدي بالضرورة إلى الحروب وزيادة الانقسامات والبعييات، هذا فضلاً عن أن القوة العسكرية المجردة لا توصل غالباً إلى وحدة حقيقية دائمة مستقرة.

وإن كنت أعتقد أن العراق لم يدخل الكويت بهذا الهدف وخاصة أنه لم يعلن ذلك في أول الأمر، فضلاً عن استعداده لمغادرة الكويت، بل وإعلانه بعد أيام أنه بدأ في الخروج بالفعل.

٢ - وهناك من قال: دخل الجيش العراقي الكويت للقضاء على فساد النظام الحاكم فيها، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وتطوير آتته العسكرية بقصد مواجهة «الكيان الصهيوني» وتحرير الوطن السليب في فلسطين.

والحق أن كل هذه الأطروحات مشكوك فيها لأن واقع النظام العراقي يخالف ذلك تماماً؛ فحزب البعث العربي الاشتراكي حزب معروف بمعاداته للإسلام، وممارساته الظالمة الفاسدة، وإن كان فساد وظلم النظام الكويتي أيضاً كبيرين، والفرق بينهما من قبيل ظلم دون ظلم، وفساد دون فساد، كما أن النظام العراقي موجود منذ عقدين من الزمان، والواقع القائم في العراق - رغم أنه بلد بترولي غني - يدل على وجود تفاوت كبير في مستويات المعيشة، وهذا لا ينفي وجود ظلم اجتماعي في الكويت على مستوى أبناء الكويت والعاملين فيها، وعلى مستوى العلاقات بين الكويت والبلاد العربية الفقيرة..

أما مسألة الوقوف إلى جانب القضية الفلسطينية فأعتقد أنها ضُخِّمت كثيراً سواء من جانب النظام العراقي أو من جانب المغرضين من العرب وغير العرب، وسوف أذكر هنا باختصار ببعض المعالم:

أ - موقف العراق من القضية الفلسطينية متقلب وغير ثابت: ففي أعقاب زيارة السادات للقدس وسيره في مسيرة الاستسلام لليهود، وتوقيع ما سمي «معاهدة السلام»، ظهرت العراق بمظهر المتشدد في مواجهة التقارب بين مصر و«الكيان الصهيوني»، فتزعم النظام العراقي ما سمي بـ «جبهة الرفص»، تلك الجبهة التي حاولت عزل مصر وإخراجها من «جامعة الدول العربية»، وفي ذات الوقت التقارب مع المنظمات الفلسطينية التي تظهر العداء الأكبر «للكيان الصهيوني»، وتطالب بتحرير فلسطين بالكامل، وتمارس أعمالاً فدايية ضد العدو الغاصب . .

وبعد خلع «الشاه» من الحكم في إيران ودخول الخميني إيران وتولييه لمقاليد الأمور، تخوف الغرب وتخوفت أمريكا وبعض الأنظمة الخليجية من نظام الحكم الجديد في إيران، الذي بدأ بإعلان العداء لأمريكا و«الكيان الصهيوني» وجهد في تصدير الثورة لبلاد الخليج، وبدأ يهدد الأنظمة في بعض البلاد المجاورة وخاصة العراق - حيث يوجد كثير من أتباع المذهب الإمامي الموجود في إيران -، فدفع العراق إلى دخول الحرب مع إيران سنة ١٩٨٠م، وقد كان العراق في ذلك الوقت من أكبر حلفاء الاتحاد السوفيتي في المنطقة، ولكنه أثناء حربه مع إيران ازداد قرباً من أمريكا وبلاد الغرب، وتناسب تقاربه مع الغرب وأمريكا تناسباً عكسياً مع تبنيه للقضية الفلسطينية، حتى إن موقفه الأخير عندما توقفت حربه مع إيران سنة ١٩٨٨م، أصبح هو موقف البلاد التي يقول عنها الغرب وأمريكا «معتدلة»، والتي تقبل بقيام «سلام» مع «الكيان الصهيوني» وفق مقررات «مؤتمرات القمة العربية» .

ب - مبادرة الرئيس العراقي التي تربط بين «احتلال الكويت» والبحث عن حل لهذه القضية مع البحث في نفس الوقت عن حلول للقضايا الأخرى في المنطقة ولا سيما قضية فلسطين، هذه المبادرة جاءت يوم ١٢ أغسطس / آب سنة ١٩٩٠م، أي بعد دخول الجيش العراقي للكويت بعشرة أيام، مما يدل على أن هذه المبادرة إنما جاءت في معرض البحث عن مخرج للمأزق بعد أن ظهر تصميم أمريكا على

تنفيذ مخططها الذي أخذت خطواته تتكشف يوماً بعد يوم . .
ومن ذلك يتبين أن النظام العراقي لا يختلف كثيراً عن الأنظمة الأخرى في تبنيه
لقضية فلسطين بحسب المصالح التي تعود عليه من هذا التبنّي . .

٣ - خرج العراق من حربه مع إيران مثقلاً بالديون، كما أن إعمار البلاد بعد
الحرب الذي حل بها بسبب الحرب، يحتاج إلى مبالغ كبيرة، وهناك مشكلات مع
الكويت لا يمكن التباحث بشأنها والعراق بهذا الضعف الاقتصادي، ومع خروج
العراق من الحرب ولديه هذه القوة العسكرية، ربما كان التفكير في أن دخول
الجيش العراقي إلى الكويت يمكن من حل كل ذلك، وخاصة أنه تم اختبار مبدئي
لما يمكن أن يحدث من قبل الغرب وأمريكا، فكانت هناك إشارات ربما لم تفهم
على حقيقتها، وهذا ما نعالجه في الفقرة التالية .

٤ - استُدْرِجَ العراق في هذا الدخول، إذ أن هذه الخطوة ضرورية لتنفيذ
المخطط بالكامل، ومن صور هذا الاستدراج ما يلي :

أ- في صباح يوم ١٢ فبراير / شباط سنة ١٩٩٠م وصل إلى بغداد، «جون كيللي»
سكرتير الدولة المساعد لشؤون «الشرق الأوسط»، واستقبلته سفيرة الولايات
المتحدة الأمريكية في العراق «إيريل غلاسبي»، والتي تتحدث العربية بطلاقة . .
وبعد الظهر كانت مقابلة «جون كيللي» للرئيس صدام حسين، وهي المقابلة
الأولى للرئيس صدام حسين مع أحد الرسميين الأمريكيين من مدة ليست قصيرة،
وقد نشر بعض ما دار الحديث حوله في هذه الجلسة في كتاب: «حرب الخليج -
الملف السري»، نقتبس منه ما يلي :

«استقبل صدام حسين «جون كيللي» بعد ظهر يوم ١٢/٢/١٩٩٠م . . وقد بادر
المبعوث الأمريكي مُضيفهُ، خلال تبادل التحيات، إلى القول: (أنتم قوة اعتدال
في المنطقة وتتمنى الولايات المتحدة إقامة أوثق العلاقات مع العراق).

لقد سر صدام حسين بهذا الاطراء وغمره شعور بالفخر، حسب التعابير التي استخدمها في رده على «كيلى»، وقام بعد ساعات من المقابلة بنقل ما دار فيها إلى عدد من زعماء الدول العربية وكان أول من اتصل به هاتفياً هو الملك حسين.

وبأقواله هذه، أنجز «جون كيلى» صياغة الرسالة الأولى بين سلسلة طويلة من الرسائل المبهمة والمتناقضة والتي سوف تكون نتائجها شديدة الوطأة والتأثير»^(١)

ب - حرّضت الولايات المتحدة - كما هو ظاهر - الكويت أثناء حرب العراق مع إيران ودفعتها لزيادة ضخ النفط، مما نتج عنه انخفاض سعر البرميل، وتضرر العراق من ذلك، وقد تم التعرض لهذه القضية في مؤتمر القمة الثلاثية بين القادة حسني مبارك وصدام حسين والملك حسين المنعقد بتاريخ ٢٤/٢/١٩٩٠م، ونشر ذلك في عدد من الكتب والمقالات، ومن ذلك كتاب "Krieg am Golf - Das Geheimdossier" أي «حرب الخليج - الملف السري» وهو كتاب وثائقي قام بتأليفه كل من الكاتب الأمريكي «بيير سالنجر» والكاتب الفرنسي «أريك لوران»^(٢) . .

ج - قامت الإدارة الأمريكية بمتابعة أعمال استدراج العراق في الدخول إلى الكويت بالقوة العسكرية - وقد كانت صلة الإدارة الأمريكية بالعراق حتى دخوله الكويت صلة لا بأس بها -، وقد ساق الكتاب المشار إليه في الفقرة السابقة عدداً من الأدلة المدعومة بالمستندات، والتي تظهر عملية الاستدراج، كما أكد «سالنجر» نفسه هذه القضية في مقابلة «تلفزيونية» في البرنامج الأول الألماني ARD يوم الثلاثاء ١٢/٣/١٩٩١م، حيث أكد على أربع إشارات هي :

(١) - في ٢٤/٧/١٩٩٠م استدعى صدام حسين سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية في العراق للقائه، وجرى بينهما حوار سجل في مضبطة جلسة، وحملت السفارة نتائج هذه الجلسة لحكومتها في واشنطن، وينسب إلى السفارة الأمريكية أنها قالت في هذه المقابلة: «نحن لا نتدخل في المشكلات التي تقع بين البلاد

العربية» وذلك عندما أبلغها صدام حسين قوله: «ما دامت المباحثات بين العراق والكويت قائمة فلن يكون هناك غزو، أما إذا فشلت المباحثات السياسية فسوف يحدث شيء» وعلق «سالنجر» على قول السفيرة بقوله: «الإجابة من السفيرة واضحة الدلالة»

(٢) - في نفس اليوم أي يوم ١٩٩٠/٧/٢٤ م سئلت المتحدثة باسم البيت الأبيض الأمريكي في واشنطن عن تصرف الولايات المتحدة الأمريكية إذا دخل العراق إلى الكويت، فأجابت قائلة: «إنه ليس بين الولايات المتحدة الأمريكية والكويت اتفاقية دفاع مشترك، وليس هناك اتفاقات خاصة لحماية الكويت». ولما سئل «سالنجر» هل هذا خطأ في السياسة الأمريكية أم أنه مقصود؟ وكيف يفهم؟ فقال: «إنه خطأ، ولكن يفهم منه عدم تدخل أمريكا إذا حدث اعتداء على الكويت!!».

(٣) - في يوم ١٩٩٠/٧/٢٧ م نقلت المخابرات الأمريكية المركزية للحكومة خبراً يفيد: أن العراق قد حشد أكثر من مائة ألف جندي على حدود الكويت، ولم تعلن أمريكا عن اتخاذ أي إجراء لمواجهة ذلك.

(٤) - في يوم ١٩٩٠/٧/٣١ م أي قبل دخول العراق الكويت بيومين، سئل «جون كيلي» سكرتير الدولة المساعد لشؤون «الشرق الأوسط» في جلسة استماع مذاعة: هل صحيح أن الولايات المتحدة الأمريكية غير مطالبة بإرسال قوات إلى الكويت إذا تم غزوها؟ فأجاب: نعم. نعم. هذا صحيح.. .
ويعلق «سالنجر» على ذلك بقوله: هذه إشارة بمثابة ضوء أخضر للعراق بدخول الكويت.. .

(٥) - ومما يؤكد ما أشار إليه «سالنجر» ما نشر في صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية يوم الخميس ١٩٩١/٥/٢ م أن كتاباً جديداً للصحفي «بوب وودوارد»

الذي اشتهر بكشفه لفضيحة «ووتر جيت» قد ظهر بعنوان «القادة» وقد أحدث ضجة كبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية جاء فيه : إنه على الرغم من أن وكالة مخابرات الدفاع الأمريكية كانت تعلم قبلها بيومين ، أن العراق سيجتاح الكويت ، فإنه لم يتم إرسال أي تحذير إلى الرئيس العراقي صدام حسين»^(٣)

وبعد هذا الاستقراء والتحليل نقول في الإجابة على السؤال المطروح : دخل الجيش العراقي الكويت لأسباب اقتصادية صادفت هوى في نفس الرئيس العراقي ، وباستدراج من الولايات المتحدة الأمريكية ، أو عن طريق اعداد مصيدة لايقاع النظام العراقي فيها ، ثم يتم بعد ذلك تنفيذ المخطط .

* * *

س ٢ : هل كانت الحرب ضرورية؟ أو بعبارة أخرى هل استنفدت كل السبل السلمية لحل القضية؟ وهل كان الحل السلمي ممكناً؟
للإجابة على السؤال المطروح ينبغي أن نفرق بين وجهة النظر العربية والإسلامية ، ووجهة النظر الغربية والأمريكية كما يلي :

١ - وجهة النظر العربية

إنني أعتقد أن الحرب لم تكن ضرورية بهذه الصورة التي تمت بها بحال من الأحوال ، ولم تكن هناك خطوات عملية في سبيل تنفيذ الحل الذي أرشد إليه القرآن في مثل هذا النزاع ، حيث انتزع البحث في هذه القضية من يد العرب من اليوم الأول بعد صدور قرار «مجلس الأمن الدولي» ، كما أنه لم تتخذ السبل للحل السلمي أصلاً ، وبالتالي لم يترك له فرصة ، وأعتقد أنه لو ترك للحل السلمي الفرصة لتحقق ، بل لقد سبق أن وقع نزاع مشابه تماماً في سنة ١٩٦٢ م ، وتم حله عن طريق جامعة الدول العربية .

فلو اجتمعت للحل السلمي جهود البلاد العربية والإسلامية بإخلاص ووعي

لتحقق، ولتم تجنب مخاطر الحل العسكري الكبيرة الخطيرة، ولو قارنا الحل السلمي والوقت الذي كان يحتاج إليه بالمخاطر الناتجة عن الحل العسكري لتبين لنا بكل وضوح أن الحل السلمي - وإن احتاج إلى بعض الوقت -، إلا أنه كان في مصلحة الكويت وبلاد الخليج، بل وبلاد العالم الثالث اقتصادياً، فليس من مصلحة الكويت وقوع كل هذا الخراب والدمار واشتعال آبار النفط، وما يترتب على اشتعالها من خسائر اقتصادية، وأضرار صحية، وتلوث للبيئة، فضلاً عن ربط مصير الكويت ربطاً دائماً بالولايات المتحدة الأمريكية، والاستسلام «للكيان الصهيوني» والذي بدأت ظواهره في إنهاء مقاطعة الشركات التي تتعامل معه، والتفاوض على استثمار أموال النفط في قطاع غزة..

ولقد قام المركز الإسلامي للدراسات «الاستراتيجية» بإعداد دراسة بعنوان «محاولة في الفهم الشرعي لأزمة الخليج» انتهى فيها إلى القول: «وهكذا نستطيع أن نستخلص حكماً شرعياً في القضية الكويتية مفاده: إن احتلال صدام للكويت عمل خاطيء وباطل، وأنه قد قوبل من الكويت وحكومات الخليج الأخرى بخطأ آخر وباطل أكبر من خلال إهمال الحل الإسلامي المذكور في سورة الحجرات واللجوء إلى الاستعانة بالمشركين»^(٤)

٢ - وجهة نظر الغرب:

إن القوى الأمريكية - الأوروبية ترى من واجبه منع البلاد الإسلامية من أن تكون قوية - مجتمعة أو منفردة - سياسياً واقتصادياً، إذ أن هذه القوة يمكن أن تساهم مستقبلاً - واربعد عشرات السنين - في تحرير إرادة الإنسان المسلم والمجتمعات المسلمة، وبالتالي تحرير الأرض من المستعمر ومنع الاستغلال.. من أجل ذلك تسعى دول الغرب وأمريكا إلى القضاء على كل امكانية مستقلة، تتوفر في بلد إسلامي لتكوين قوة نامية على الزمن، ويساعدهم على ذلك التشتت والانقسام القائم في بلاد العرب والمسلمين، ومن الأمثلة القريبة على ذلك:

(أ) - حاولت أمريكا تقوية نظام الشاه في إيران ليكون القوة العسكرية الضاربة في منطقة الخليج، ولكن ثورة الخميني أطاحت بهذا النظام المرتبط بالغرب وأمريكا ارتباطاً كبيراً، وأعلن النظام الجديد في إيران استقلاله عن أمريكا والغرب، فكان لابد من القضاء على القوة العسكرية الموجودة في إيران بعد خروجها من التبعية والولاء.

ونظراً لأن بعض الأنظمة الموجودة في منطقة الخليج كانت تخشى وجود هذه القوة العسكرية في إيران، فإن مصالح الغرب تلاقت مع مصالح بلاد الخليج في ضرورة ضرب القوة العسكرية الإيرانية، واستخدم العراق في ضرب إيران، واستمرت الحرب الإيرانية العراقية ثمان سنوات، أتت فيها على الأخضر واليابس، وكان الخاسرون فيها على جميع الأحوال المسلمين، وفي الوقت الذي ربح فيه الغرب ببيع السلاح أولاً ثم بتشغيل شركات الغرب التي ستقوم بإعادة إعمار مدمرته الحرب ثانياً.

(ب) - ولما خرج العراق من هذه الحرب وقد امتلك قوة عسكرية نامية وامتلك بعض أسباب تطوير صناعة السلاح، كان هذا يعني أن العراق قد تجاوز بقوته «التكنولوجية» والعسكرية الحد الذي تسمح الولايات المتحدة الأمريكية و«الصهيونية العالمية» به، وتخطى - لحد ما - بعض خطوط المصالح الأمريكية و«الامبريالية» و«الصهيونية» في المنطقة، فكان لابد في منطقهم العدواني من ضربه، وتدمير قوته العسكرية، وقاعدته الصناعية، وبنيتة التحتية، لاختضاعه، وكسر شوكلته في الحاضر، والحيلولة بينه وبين النهوض السريع، وتكوين خطر في المستقبل.

وساعد على ذلك أيضاً وجود التناقضات بين الأنظمة العربية والإسلامية، واتفاق بعض مصالح الأنظمة مع مصالح الغرب وأمريكا، حتى إننا وجدنا سوريا تشترك في التحالف مع أمريكا لضرب العراق.

(ج) - بعد أن تم القضاء على القوة العراقية، وهناك احتمالات ما لنمو قوة عسكرية سورية، يمكن أن تشكل خطراً ما على الكيان الصهيوني - وليس هناك وجه للمقارنة بين القوة السورية وقوة «الكيان الصهيوني» -، فإن الأجواء والظروف تهيأ محلياً وعالمياً لضرب القوة السورية، وسيساعد على ذلك أيضاً، استمرار التنزع والصراع بين الأنظمة العربية والإسلامية.

ومن ذلك يتبين أن الحرب كانت ضرورية من وجهة نظر أمريكا والغرب و«الكيان الصهيوني».

* * *

س ٣ : لمصلحة من وقعت حرب الخليج ؟
للإجابة على هذا السؤال نحتاج إلى استعراض بعض ما نشر وما اتخذ من تدابير قبل اندلاع الحرب، ثم نستعرض بعض ما نشر بعد توقف آلة الحرب :

أولاً - قبل الحرب

إن لأمريكا والغرب مصالح في منطقة الخليج، ولقد تم التخطيط لحمايتها، وتهيئة الظروف السياسية والاعلامية مع التعبئة العسكرية للحرب على النحو التالي :

١ - مصالح الغرب وأمريكا في منطقة الخليج والتخطيط لحمايتها

للغرب والولايات المتحدة الأمريكية مصالح حيوية في منطقة الخليج عبر عنها أحد وزراء الدفاع الأمريكي قبل أكثر من عشر سنين هو «هارولد براون» في حديث له أمام لجنة الشئون الخارجية بـ «الكونجرس» فقال : «إن ما نراهن عليه في الخليج الفارسي هو الرخاء الاقتصادي والعافية السياسية للولايات المتحدة وحلفائها. فلو حرمت الدول الصناعية في العالم من حرية الوصول إلى مصادر الطاقة في الخليج فستكون النتيجة على الأرجح هي الانهيار لحلفائنا وللاقتصاد العالمي».

ثم عبر الرئيس كارتر عن مخاوف الولايات المتحدة في «رسالة الاتحاد» الموجهة للشعب الأمريكي بتاريخ ٢٠/١/١٩٨٠م فقال: «إن أية محاولة من جانب قوة أجنبية للسيطرة على منطقة الخليج الفارسي سوف تعتبر بمثابة عدوان على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية، وسوف يعابل مثل هذا العدوان بكافة الوسائل الضرورية بما في ذلك القوة العسكرية» وعرف هذا التصريح بعد ذلك بـ «مبدأ كارتر».

ثم بدأ اتخاذ التدابير اللازمة لحماية هذه المصالح الحيوية، فتشكلت قوة عسكرية لتكون على استعداد للتدخل السريع في المنطقة، وصدرت التصريحات وخرجت الدراسات التي تنبئ عن وجود هذه القوة، ولكن أشمل الدراسات التي عالجت هذا الموضوع هو التقرير الخاص الذي أعده الأمريكي جيفري ريكورد والذي نقله إلى العربية عبد الهادي ناصف بعنوان «قوة الانتشار السريع والتدخل العسكري في الخليج»، ونشرته دار المستقبل العربي سنة ١٤٠٣هـ أي سنة ١٩٨٣م.

وقد قسم هذا التقرير التهديدات العنيفة لحرية وصول الغرب إلى نفط الخليج إلى فئات ثلاثة^(٥):

- ١ - عدوان سوفيتي مباشر ضد دولة منتجة للنفط، أو ضد حقول النفط، أو طرق نقل النفط البحرية في المنطقة.
- ٢ - عدوان بواسطة قوة إقليمية أخرى ضد دولة منتجة للنفط أو ضد حقول النفط.
- ٣ - الإرهاب، التمرد، أو الثورة من داخل دولة منتجة للنفط.

وحلل التقرير هذه التهديدات وأشار إشارات واضحة إلى أن أخطر هذه التهديدات هو الثاني، ورجح أن الدولة التي يمكن أن تقوم بالعدوان هي العراق لوضعها العسكري ولأنه سبق لها أن قامت بهجوم على الكويت في الماضي القريب، ثم أكد أنه: «لا جدال في أن استخدام الولايات المتحدة للقوة العسكرية

لصالح دولة مهددة من العراق أو «أي دولة أخرى» ينبغي أن يستند إلى طلب أكيد للمساعدة من جانب الدولة المهددة»^(٦)

ثم بدأت عملية البحث عن البلاد التي تسمح للولايات المتحدة الأمريكية بوجود قواعد عسكرية أو اعطائها تسهيلات عسكرية في منطقة الخليج، وقد كان الأمر آنذاك مستغرباً، ومما يعكس هذا الاستغراب بوضوح، ذلك التصريح الذي أدلى به الشيخ صباح الأحمد الصباح - وزير خارجية الكويت - سنة ١٩٨٠م والذي قال فيه: «الدفاع عنا ضد من؟ من الذي يحتلنا؟ إننا لم نسأل أحداً أن يدافع عنا، ورغم ذلك نجد كل هذه السفن حولنا تطلب تسهيلات!! إن المسألة كلها تبدو وكأنها جزء من فيلم بمخرجين اثنين - روسيا والولايات المتحدة - كيف ستكون نهاية الفيلم؟ ربما باتفاق القوتين الأعظم على أنه: حسناً، حقول النفط هذه لنا، وتلك لكم، سوف نقسم المنطقة من هنا إلى هناك»^(٧)

وألحَّ قائد قوة الانتشار السريع المشتركة الأمريكية على ضرورة وجود قواعد وإعطاء تسهيلات عسكرية للجيش الأمريكي في منطقة الخليج فقال: «عندما نتحدث عن إرسال قوة مقاتلة إلى مسرح عمليات يبعد ٧٠٠٠ ميل، ثم تستمر في إسدادها وصيانتها من على نفس البعد، فإنك تتحدث عن شيء يربك العقل، ومن هنا فإنها ضرورة أمن مطلقة أن يتوفر لدينا حق استخدام تسهيلات في المنطقة»^(٨)

وبالفعل تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية من إقامة قواعد والحصول على تسهيلات، أشار إليها مقال نشر في مجلة «المجلة» العدد رقم ٣٠ الصادر في ٦-١٢/٩/١٩٨٠م (٢٦ شوال - ٣ من ذي القعدة سنة ١٤٠٠هـ) بعنوان: «مخطط أمريكا العسكري للمنطقة المحيطة بالخليج اكتمل في رأس بناس» نقبس منه ما يلي:

«الأسبوع الماضي اكتملت حلقات المخطط العسكري الأميركي في المحيط الهندي والمنطقة المحيطة بالخليج العربي، وهو المخطط الهادف إلى «حماية

طريق النفط» من أي تهديدات، سوفياتية أو غير سوفياتية، وإلى التدخل عسكرياً في حال نشوب أزمة كبيرة في الشرق الأوسط، على حد قول مصادر واشنطن.

الحلقة الأخيرة من هذا المخطط العسكري كانت قاعدة رأس بناس المصرية الواقعة على البحر الأحمر، والتي تم التوصل إلى اتفاق في شأنها بين مصر وأمريكا، بهدف استخدامها كمركز انطلاق في أي عملية عسكرية أمريكية واسعة النطاق في الشرق الأوسط.

المفاوضات حول رأس بناس بدأت منذ عدة أشهر، وأحيطت بالتكتم الشديد من جانب واشنطن والقاهرة، وقد حرصت المصادر المصرية الرسمية في الأسابيع الماضية على نفي أنباء مفادها أن رأس بناس ستتحول إلى قاعدة عسكرية أمريكية. ماذا حدث بالضبط؟ وما نوع الاتفاق الذي تم التوصل إليه بين واشنطن والقاهرة؟

المعلومات التي حصلت عليها «المجلة» من مصادر أمريكية ومصرية توضح حقيقة هذا الاتفاق في الشكل الآتي:

● أمريكا خصصت ٤٠٠ مليون دولار لتحويل قاعدة رأس بناس، التي تقع في مواجهة السعودية، إلى مركز قادر على استقبال طائرات حربية ضخمة وفرقة أمريكية كاملة «نحو ١٨ ألف جندي» من فرق «قوات التدخل السريع» في حال حدوث أزمة أو في حال طلبت فيه واشنطن ذلك.

● هذه القوات الأمريكية لن ترابط بصورة دائمة في رأس بناس، بل ستُرسل إليها من الولايات المتحدة أو من أي مكان آخر في العالم، ثم تنطلق من هذه القاعدة المصرية إلى أي بقعة في منطقة «الشرق الأوسط» تريد أمريكا التدخل فيها. الأمريكيون سيبنون مطاراً حربياً حديثاً كبيراً في رأس بناس قادراً على استقبال القاذفات الضخمة من نوع «ب - ٥٢» التي استخدمت في حرب فيتنام، وطائرات

التجسس والاستطلاع من نوع «اس. ر. ٧١» المعروفة باسم «الطائر الأسود»،
وطائرات ضخمة أقل الجنود.

القوات الأمريكية ستحضر معها كل ما تحتاج إليه من مؤن ومعدات حربية
ضرورية للعمليات التي تنوي القيام بها.

● وفقاً للاتفاق سيكون في استطاعة القوات المصرية الافادة من رأس بناس ومن
كل التجهيزات الأمريكية فيها

● ستنشئ - أسريكا في هذه القاعدة محطة إنذار مبكر تكون قادرة على رصد كل
التحركات العسكرية في منطقة الخليج.

● مصادر واشنطن تقول إن هذه القاعدة لن تستخدم إلا في حال نشوب أزمة
كبرى في المنطقة أو في حال تعرض إمدادات النفط إلى الغرب للخطر، لكن
المراقبين المطلعين يقولون أن لا شيء يمنع استخدام هذه القاعدة والانطلاق منها
في أي وقت يراه المخططون العسكريون الأمريكيون ملائماً لهم^(٩)

وهكذا اكتمل المخطط، ولم يبق إلا انتظار الفرصة المناسبة والظروف
الملائمة، والتي بدأت باجتياح العراق للكويت في ٢/٨/١٩٩٠م، وانتهت بانحلال
الحرب في ١٧/١/١٩٩١م.

٢ - تهيئة الظروف السياسية والإعلامية مع التعبئة العسكرية للحرب

بادرت الإدارة الأمريكية مستفيدة من الظروف التي توفرت بعد الوفاق الدولي
وانهيار الكتلة الشرقية وانفرادها في ميدان القوة العسكرية الدولية، بادرت بالتحرك
على عدد من المحاور:

(١) - على المحور الدولي والأوروبي: أسفرت الجهود السريعة والمباشرة عن
صدور قرارات في نفس يوم دخول العراق إلى الكويت، الأول في «مجلس الأمن

الدولي» وقد صدر بإجماع الأعضاء ما عدا اليمن، والثاني في السوق الأوروبية المشتركة وقد صدر أيضاً بالإجماع على مستوى، وزدء الخارجية، وأما الصيغة فهي متشابهة وتفيد شجب التدخل العسكري في الكويت وتطالب بخروج العراق من الكويت دون شروط وفوراً .

وبعدها قبضت الولايات المتحدة على زمام الأمور في «مجلس الأمن الدولي»، فتوالى صدور القرارات التي تحكم القبضة على العراق سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، حتى أصبح العراق وكأنه قد عزل عالمياً إلا من بعض التأييد من البلاد المضيفة في عالم الأقران .

وفي ٢٩/١١/١٩٩٠ وبضغط من الولايات المتحدة الأمريكية أصدر «مجلس الأمن الدولي» قراره الذي يقضي باستخدام جميع الوسائل بما في ذلك القوة العسكرية لإخراج العراق من الكويت إذا لم يخرج هو قبل يوم ١٥/١/١٩٩١ م.

(٢) - على مستوى الدول العربية: بادرت الولايات المتحدة الأمريكية بالاتصال بعدد من البلاد الحليفة، حيث سافر وزير الدفاع الأمريكي «شيني» إلى مصر يوم ٣/٨/١٩٩٠ م، وعلى إثر لقائه مع الرئيس حسني مبارك قام الأخير بتوجيه خطاب حماسي، طالب فيه بضرورة انعقاد مؤتمر قمة للبلاد العربية على مستوى الملوك والرؤساء، وعرض استضافة مصر لهذا اللقاء، ثم انتقل وزير الدفاع الأمريكي إلى السعودية وبعد التقائه بالملك فهد، توجه الأخير إلى الشعب عبر وسائل الإعلام بخطاب دعا فيه البلاد الشقيقة يعني «الإسلامية والعربية» والصديقة «يعني أمريكا والغرب» لإرسال قوات عسكرية للمملكة لحمايتها . وبذلك تم التغلب على أكبر العقبات التي كانت تخشاها الولايات المتحدة الأمريكية والتي تتمثل في ضروره وجود أرض في منطقة الخليج تسمح بوجود القوات الأمريكية فيها .!!

(٣) - اتخذت الولايات المتحدة متمثلة في الرئيس بوش التدابير والأسباب لسد

الباب أمام علاج قضية دخول العراق إلى الكويت بالطرق السلمية والسياسية، فضلاً عن انتزاع القضية من يد العرب بعد أن فشلت جامعة الدول العربية في الوصول إلى علاجها وفق ما سمي «الشرعية الدولية»، في ظل «النظام الدولي الجديد»، ويقول «سالنجر» في المقابلة المشار إليها سابقاً، : «لم يترك الوقت الكافي للسياسة والدبلوماسية، حيث لم تتم إلا مقابلة واحدة بين وزير خارجية العراق ونظيره الأمريكي في يوم ١٩٩١/١/٩ م

» وقد كشف كتاب «القادة» الذي صدر في يوم الجمعة ١٩٩١/٥/٣ للصحفي «بوب وودوارد» عن خلاف بين الإدارة الأمريكية في أول الأمر حول هذه القضية فقال: «إن رئيس هيئة الأركان الأمريكية المشتركة «باول» ألح بشدة للاعتماد على العقوبات ضد العراق تفادياً للحرب واحتواءاً للأزمة، . . وقد قاد حملة شاركه فيها إلى حد ما وزير الخارجية «جيمس بيكر» لإقناع الرئيس الأمريكي «جورج بوش» بالاعتماد على العقوبات بدل الخيار العسكري. . . ومما قاله «كولن باول» للرئيس «بوش» في أواخر أكتوبر «تشرين الأول» سنة ١٩٩٠ م - قبل اتخاذ القرار بمضاعفة عدد القوات الأمريكية في الخليج - : هذا الاحتواء قد يستغرق وقتاً ربما عام أو اثنين ولكنه سينجح . فرد «بوش» على ذلك بقوله : «اعتقد أنه لا يوجد وقت لهذه الاستراتيجية. . . !!!»

وفي يوم ١٩٩٠/١٢/٢٩ م وقع «بوش» أمراً سرياً للغاية بتحريك القوات الأمريكية للحرب، وتخويل «شوارز كوبف» سلطة بدء الهجوم في الساعة الثالثة صباح يوم ١٩٩١/١/١٧ م، وقد صدر الأمر قبل المناورات العلنية والضجة الدبلوماسية حول المهلات الممنوحة للعراق كي ينسحب»^(١٠)

(٤) - قام الإعلام الأمريكي والأوروبي بدوره في تعبئة النفوس عالمياً ومحلياً، بإثارة الرعب من الجيش العراقي والقيادة العراقية!!!
فتمت مبالغات في العتاد والعدة وتصوير النظام العراقي وما يملك من أعمال

الإرهاب - وخاصة بعد تأييد منظمة التحرير الفلسطينية للمطالب العراقية - بأنه مصدر الخطر العالمي، وخاصة أنه بصدد امتلاك القنبلة الذرية بعد أن امتلك أسلحة الدمار الشامل الكيماوية و«البيولوجية»، مما ساعد على أن تنقل الولايات المتحدة إلى منطقة الخليج جميع أسلحة الدمار الشامل بما في ذلك السلاح النووي، وأحدث المعدات العسكرية والحربية، فضلاً عن تكديس كميات هائلة من الذخيرة، ونقل أكثر من نصف مليون جندي إلى منطقة الخليج، وشارك الولايات المتحدة في كل ذلك أكثر من ٣٠ دولة. .!!!

(٥) - كما تمكنت الولايات المتحدة من إقناع عدد من البلاد العربية بالمشاركة في قوة التحالف المشتركة، والتي خاضت الحرب تحت قيادة القائد الأمريكي «شوارز كوبف» فقاتل العرب والمسلمون تحت قيادة القائد الأمريكي غير المسلم إخوانهم العرب والمسلمين في العراق والكويت، فقتلوا على بعضهم ودمروا أرضهم وخرّبوا اقتصادهم وخاضوا المعارك عن عدوهم - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - .!!!

ثانياً - ما بعد الحرب

لا يمكن في حدود هذا البحث الإحاطة بالدراسات والكتب التي صدرت - حتى ساعة كتابة هذه السطور - حول هذه الحرب وحقيقتها وما وقع بعدها، ولكنني سأكتفي بالإشارة إلى عدد من الملاحظات التي لها ما بعدها:

١ - تنظر الولايات المتحدة الأمريكية وبلاد أوروبا إلى أنظمة الخليج على أنها «مؤسسات أسرية لكل منها علم وسلام وطني وليست القضية موضع العلاج هي إعادة النظام الكويتي إلى الحكم، وإنما هي المصالح الأمريكية والغربية»، ويقول التقرير الأمريكي: «والواقع أن الضعف السياسي الداخلي للدول المنتجة للنفط والتي يتألف العديد منها من نظم شبه إقطاعية تحكم شعوباً لا حول لها ولا قوة،

تعيش داخل حدود رسمت في معظم الأحوال اعتباطياً بواسطة سلطات الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر»^(١١)

ويُعلن في وسائل الإعلام الغربية مطالبة الولايات المتحدة لهذه الأنظمة بعد حرب الخليج «وخاصة الكويت والعراق» بضرورة اتباع النظام الديمقراطي . . فهل من مدكر؟

٢ - لقد رسم الاستعمار القديم حدود البلاد العربية بطريقة اعتباطية . . أما الاستعمار الأمريكي الجديد فقد استخدم نفوذه في إصدار «قرار مجلس الأمن» الذي نزع من أرض الكويت خمسة كيلومترات ومن أرض العراق عشرة كيلومترات وذلك على طول الحدود بين الكويت والعراق لمسافة ٢٠٠ كيلومتر وارتفع فوقها علم الأمم المتحدة وتمركزت قواتها في هذا المستطيل الذي يبلغ طوله ٢٠٠ كيلومتراً وعرضه ١٥ كيلومتراً . . . ولا يُعلم ما سيكون في المستقبل!! . .

٣ - أذاع «التلفزيون» الألماني برنامج "Monitor" أن الولايات المتحدة الأمريكية زرعت في منطقة الخليج على الشاطئ العربي ٢٤ قاعدة أمريكية منها ١٢ قاعدة في السعودية و ٤ قواعد في الكويت، ولا أعرف هل هذه القواعد لحماية الكويت والسعودية ودول الخليج أم هي لحماية النفط؟! إن الحرب كما كانت تهدف إلى دخول هذه القوات إلى الخليج وتمركزها هناك!!

٤ - بدأت الصحف العربية والعالمية تنشر فضائح وفضائح وقعت وتقع بين العرب والمسلمين وتشير إلى تصرفات مستقبلية أذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر:

أ - فضائح أمراء وشيوخ النفط سواء في البلاد التي يعيشون فيها أو البلاد العربية التي ذهبوا إليها أو بلاد أوروبا، ويعف القلم عن ذكر بعض الأمثلة، كما أصبح الحديث بلا حرج عن ظلم الحكام والأنظمة مع الإشارة إلى الأسماء والوقائع . . الخ.

ب - نشرت مجلة أكتوبر عدداً من المقالات الافتتاحية لها وأشارت إلى الموضوع على غلافها وسأكتفي هنا بذكر بعض العناوين موضوع «أزمنا العربية بين أغلبية متألمة وأقلية مذهولة» في العدد ٧٥١ بتاريخ ١٧/٣/١٩٩١ م، ومقال: «هل ما حدث للعراق كان مؤامرة مدبرة سلفاً؟» في العدد ٧٥٢ بتاريخ ٢٤/٣/١٩٩١ م، ومقال «هل كان حسين . . هو المخطط الذي جر صدام إلى أم المصائب؟» العدد ٧٥٣ بتاريخ ٣١/٣/١٩٩١ م، ومقال: «دور الملك حسين مع صدام . . هل كان فصلاً في مؤامرة كبيرة؟» في العدد ٧٥٥ بتاريخ ١٤/٤/١٩٩١ م، ومقال «هكذا خدع العرب صدام حسين . . وتآمروا على شعب العراق!!» في العدد ٧٥٦ بتاريخ ٢١/٤/١٩٩١ م . . . نعم هذه عناوين للمقال الافتتاحي في مجلة واحدة اسبوعية في بلد واحد، فكيف لو حاولنا استقصاء وحصر ما كتب وما أذيع . . إنه لشيء فظيع حقاً!!!

ج - ولا يمكن أن أترك هذه الفقرة دون الإشارة إلى خبر قصير ولكن مغزاه كبير، ورد هذا الخبر في مجلة «المجلة» العدد ٥٨٥ بتاريخ (٢٤ - ٣٠) ابريل (نيسان) سنة ١٩٩١ م بعنوان «دول عربية» بدل «العالم العربي» يقول الخبر: «قرر الحزب الاشتراكي الفرنسي الحاكم في اجتماعه الأخير الذي استعرض فيه نتائج أزمة الخليج واستخلص منها بعض الدروس والعبر لكي يعيد على ضوءها النظر في بعض علاقاته العربية، التحلي رسمياً في بياناته وتصريحاته عن مصطلح «العالم العربي» مستبدلاً إياه بـ «الدول العربية». وكانت عدة جهات ثقافية وسياسية فرنسية قد ناقشت طوال أزمة الخليج مفهوم «القومية العربية» و «الوحدة العربية» و «العالم العربي» وانتهت إلى نتيجة مفادها أن هذه المصطلحات لا تعبر عن حقائق ملموسة في نظرها. فالوحدة العربية مجرد حلم لم يتحقق، والقومية العربية شعار بدون محتوى والعالم العربي إطار واسع لكيانات سياسية مستقلة ومختلفة عن بعضها البعض. وهكذا جاء قرار الحزب الاشتراكي متجاوباً مع هذا التوجه العام لدى

الكثير من الفرنسيين الذين يطالبون بضرورة إعادة النظر في بعض المسلّمات المعروفة في سياسة فرنسا تجاه العالم العربي طوال ربع القرن الأخير»^(١٢)

٥- هذه أول حرب تشترك فيها أوروبا مجتمعة دون أن يكون بينها اختلاف، ولم يسبق هذا التوحد إلا في الحروب الصليبية في الماضي، مما دفع الفريق سعد الدين الشاذلي إلى اختيار عنوان كتابه الذي كتبه عن هذه الحرب: «الحرب الصليبية الثامنة»، ومن المفارقات العجيبة في هذه الحرب اتحاد اليهود والنصارى على اختلاف مذاهبهم ودياناتهم وميقاتهم، في الوقت الذي انقسم فيه أهل التوحيد على أنفسهم وقاتل بعضهم بعضاً!!!

خلاصة وتذكير

مما سبق يتبين أن حرب الخليج وقعت بتخطيط من الولايات الأمريكية، وساعدها في تنفيذ هذه المخططات، الأنظمة المتنازعة فيما بينها والبعيدة عن منهج الإسلام، في منطقة الخليج، كما تبين أن العرب والمسلمين لم يستفيدوا من تاريخهم عندما استعان بعض ملوك الطوائف بالفرنجة على بعضهم، حيث ضاعت دولتهم في الأندلس ونزع الملك من أيديهم، ثم تكرر ذلك عندما أعان الشريف حسين بلاد المحور في القضاء على دولة الخلافة العثمانية، آملاً في أن يكون له السلطان من بعد، ولكن الانجليز قد مكنوا اليهود في فلسطين ولم يحظ الشريف حسين بما أراد، ثم تكرر الأمر في حرب الخليج دون أن يستفيد الحكام من التجارب.

وفي الختام سوف أذكر نفسي وإخواني القراء بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل لنسأل أنفسنا أين نحن من فهم هذه الآيات وتطبيقها:

الأولى: قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ

قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴿ (الحديد: ١٦)

الثانية يقول الله عز وجل فيها:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعل منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ (المتحة: ١)

الثالثة: يقول الله سبحانه فيها: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (المائدة: ٥١)

(١) حرب الخليج - الملف السري، بيار سالينجر واريك لوران، دار آزال للتوزيع والنشر

«بيروت - لبنان» سنة ١٩٩١، ص ١١

(٢) المرجع السابق، ص ١٤

(٣) القدس العربي عدد رقم ٦١٧ الصادر الجمعة ٣/٥/١٩٩١ م ص ١

(٤) مجلة الإنسان - مرجع سبق الإشارة إليه، العدد رقم ٣ ص ٤٤.

(٥) قوة الانتشار السريع والتدخل العسكري الأمريكي في الخليج، تقرير خاص أعده/ جيفري ريكورد ونقله إلى السرية / عبد الهادي ناصف، دار المستقبل العربي، سنة ١٤٠٣ هـ - سنة

١٩٨٣ م، ص ٢٥.

(٦) المرجع السابق، ص ٣٦

(٧) المرجع السابق، ص ٥٨

(٨) Time, September 22, 1980, P. 29

(٩) مجلة «المجلة» العدد ٣٠ الصادر في ٦-١٢/٩/١٩٨٠ ص ٦

(١٠) المرجع المشار إليه في (٣)

(١١) المرجع الخامس، ص ٣٨

(١٢) مجلة «المجلة» العدد ٥٨٥ بتاريخ ٢٤ - ٣٠/٤/١٩٩١، ص ٨

المبحث السادس

من أسباب الحرب ونتائجها وآثارها

لقد وضعت الحرب أوزارها، وأصبح الجميع أمام واقع له آثاره القريبة والبعيدة المدى، كما أنه لم يعد خافياً أن من أهم أسباب هذه الحرب؛ الحفاظ على المصالح الغربية والأمريكية، وتحقيق أمن «الكيان الصهيوني» وتوفير فرص أفضل لتثبيت وجوده وسيطرته واستقراره، والمحافظة على الكيانات العربية الموجودة في المنطقة والتي تربطها بأمريكا صلات قوية تمكن من رعاية أفضل للمصالح الأمريكية والغربية.

أولاً: مخططات الأمن والسلام في المنطقة:

بديهي عندما نتحدث جهة ما عن الأمن، فإنها تتحدث عن الأمن الذي يحقق لها أهدافها ويحافظ على مصالحها، والأمن مطلب حضاري كما يقول المفكر الإسلامي مالك بن نبي - رحمه الله تعالى -، وفي لغة العرب هناك علاقة قوية بين كلمة الأمن والإيمان؛ فالإيمان قد يكون معناه التأمين أي إعطاء الأمان. تقول:

آمنت فلاناً إيماناً، وأمنته تأميناً بمعنى واحد، قال تعالى: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ (قريش: ٣ و٤)، ومنه اسم الله تعالى: «المؤمن» لأنه آمن عباده من أن يظلمهم وقد يكون معنى الإيمان التصديق إذا تعدى بحرف «الباء» أو «اللام»، من ذلك قول الله عز وجل: ﴿قولوا آمنا بالله﴾ (البقرة: ١٣٦)، وقوله سبحانه: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾ (البقرة: ٧٥). وعلماء الاشتقاق يقولون: إن المعنى الثاني راجع إلى الأول، لأن من صدّقك فقد أمنك من التكذيب والمخافة، ولقد أرشدنا الله عز وجل إلى الفريق الذي يستحق الأمن وموصافاته فقال سبحانه: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ (الأنعام: ٨١ و٨٢).

١ - الأمن في منطقة الخليج من وجهة نظر أمريكا:

للولايات المتحدة الأمريكية مفهومها عن الأمن في منطقة الخليج، وقد صدرت الدراسات العسكرية والمدنية التي تبين وجهة النظر هذه، وقد ترجمت إلى العربية بعض هذه الدراسات، وأشار إليها عدد من أصحاب البيان من العرب والمسلمين، وقد سمع الأستاذ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي عدداً من هذه الأفكار في كتابه «حقائق حول أزمة الخليج» واختار لها عنوان «النظام الأمني المؤقت في الثمانينات الميلادية (العشرية الهجرية)، قدم لها بقوله: «والخطة البعيدة المدى يمكن إيجازها في (وضع نظام أسني للمنطقة يجعلها تابعة أو جزءاً من حلف الأطلسي) حيث يمكن الجمع بين وجود قوة إقليمية تشارك في الدفاع والنفقات وبين الدور القيادي المباشر والمتحكم للولايات المتحدة»^(١)

الخلاصة: أمن منطقة الخليج من وجهة النظر الأمريكية، يتمثل في إيجاد وضع يحافظ على مصالح أمريكا وحلفائها، وهي على استعداد في سبيل تحقيق ذلك إلى خوض حرب أو احتلال المنطقة احتلالاً مباشراً!!!

٢ - أمن المنطقة من وجهة نظر «الكيان الصهيوني» :

يؤمن زعماء الحركة الصهيونية بأن : أمن «الكيان الصهيوني» ووجوده مرتبط بأمن المنطقة التي زُرِعَ فيها، ويعتمد هؤلاء على النظرية القائلة بأن الأمن يتحقق لأحد الطرفين فقط، ولذلك فهم يتخذون جميع الأسباب والسبل التي من شأنها تمزيق الأمة الإسلامية عامة والعربية منها خاصة، ويُذكون الصراعات بين البلاد العربية، ويشعلون الفتن التي تساعد على نشوء حروب بين شعوب المنطقة، حتى يضعف الاقتصاد من ناحية ويفقد العرب توازنهم في مواجهة عدوهم من ناحية أخرى . .

ومن الأقوال التي تكشف النوايا الصهيونية تجاه العرب ما كتبه الكاتب ديفيد كاما في كتابه : «الصراع لماذا؟ وإلى متى؟ أقتبس منه قوله : «إن هناك وطناً واحداً للعرب عائداً لهم وليسوا غرباء فيه، ألا وهو الجزيرة العربية، أما بقية البلاد التي يقيمون الآن عليها فليسوا سوى محتلين لها مسيطرين عليها، وقيمون امبراطورية مغتصبة، ويستنكرون وبكل وقاحة الحقوق الطبيعية للشعوب التي لها الحق الشرعي في هذه المنطقة قبل الاحتلال العربي، إلا أن هذه الشعوب، أصبحت الآن شعوباً وطوائف لاجئة في «الشرق الأوسط»، لها كل الحق في تقرير المصير والاستقلال السياسي، وهناك عبء في المحقوق أو الواجبات ملقى على كاهل «الاسرائيليين» كي يقدموا يد العون إلى أولئك المتعفين في عبوديتهم في السجن العربي، لذا يجب إيجاد لغة مشتركة وطريق عمل واحدة مع الأكراد في العراق، والدروز في سورية، والزنوج في السودان والموارنة في لبنان والاقباط في مصر، وسائر أبناء الشعوب والديانات التي تحارب سوية من أجل التحرير والاستقلال، إن من العدالة والنزاهة والحكمة السياسية أن تعمل «إسرائيل» على الفك التام للامبراطورية التي تعتبر آخر امبراطوريات الماضي التي انتهت في عصرنا» (٢)

أما هرتزل فقد كان واضحاً كل الوضوح حيث قال : «إن ما يلزمنا ليس الجزيرة العربية الموحدة، وإنما الجزيرة العربية الضعيفة المشتتة المقسمة إلى عديد من

الإمارات الصغيرة الواقعة تحت سيادتنا والمحرومة من إمكان الاتحاد ضدنا» (٣)

ولعل هذا يكشف لنا السر في أن «الكيان الصهيوني» لا يقبل أن تكون للعرب قوة في بلد واحد من بلدانهم - كما ظهر في حالة العراق - يمكن أن تهدد أمنه مستقبلاً، فمن باب أولى لا يقبل لهم قوة اتحادية بحال من الأحوال .

٣ - ما قيل عن النظام الأمني الجديد:

كثر الحديث أثناء أحداث الخليج عن مخطط الأمن والسلام في المنطقة، وسمعنا تصريحات لعدد من المسؤولين العرب والأمريكان وأخذ المستغربون أصحاب البيان تعبئة الشعوب والعمل على إقناعها بأنه آن الأوان لحل القضية الفلسطينية بعد الانتهاء من حرب الخليج . . . الخ، وكان كثير من المسلمين - وأنا منهم - يؤمنون أن هذه التصريحات لا حقيقة لها، وما هي إلا مناورة سياسية لتهدئة الشعوب العربية والإسلامية للمحافظة على التحالف الذي وجد لتنفيذ المخطط الأمريكي الصهيوني في القضاء على القوة العسكرية العراقية، وتشكيل خريطة الأمن التي تريدها أمريكا و «الكيان الصهيوني» .

ومما هو جدير بالتدبر أن حكومة «الكيان الصهيوني» كانت «صادقة» في إعلان موقفها من «النظام الأمني الجديد»، فقد صرح «شامير» وعدد من «الوزراء» بأنهم يرفضون فكرة «مؤتمر دولي للسلام»، ويعلنون عدم القبول بقيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة، وقيل آنذاك، إن كان ولا بد من قيام دولة فيمكن أن تقام في الأردن الذي يشكل غالبية سكانه الفلسطينيين، وحتى هذه الدولة لا بد لها من شروط إن قامت لأنها ستكون مجاورة «للكيان الصهيوني» فلا بد أن تنطبق عليها الشروط التي تحققت أمن «الكيان الصهيوني» في المنطقة!!

ولقد وقفت طويلاً أمام تصريح «بيكر» وزير خارجية أمريكا الذي أعلنه يوم الخميس ١٩٩٠/٩/٦م، والذي قال فيه: «إن بلاده تفكر بإنشاء «نظام أمني

جديد» في منطقة «الشرق الأوسط» على غرار حلف شمال الأطلسي»، وسألت نفسي : على أي أساس يصدر مثل هذا التصريح ؟ وبأي صفة أو صلاحية يوجد مثل هذا التفكير؟! ، وبعد أسبوع من هذا التصريح سافر «بيكر» إلى سوريا، وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده بيكر في دمشق، أعرب وزير خارجية أمريكا عن رغبة بلاده في إقامة «نظام أمني» في «الشرق الأوسط»، يدخل في عضويته عدد من دول المنطقة، ولما سئل عن عضوية «الكيان الصهيوني»؟! لم يستبعد «بيكر» أن يكون «الكيان الصهيوني» عضواً!!

ثم سألت نفسي : هل تقبل دولة عربية مثل هذا الحلف الذي يهدف إلى بقاء القوات الأمريكية في المنطقة؟! وهل ستقوم دولة أو دول عربية بالمشاركة مع «الكيان الصهيوني» في عضوية هذا الحلف المقترح؟!

وأجابتنى النفس : إياك أن تصعق إذا سمعت بميلاد مثل هذا الحلف، سواء كانت فيه أمريكا أو كان فيه «الكيان الصهيوني»، فنحن نعيش في زمن الاهتراء العربي الرسمي والشعبي، والحكومات تفعل ما تريد وهي في أمن من غضب الشعوب!!

ولعله من المفيد أن أختتم هذه الفقرة ببعض ما نسب إلى «هنري كيسنجر» وزير خارجية سابق لأمريكا وصاحب الرحلات «المكوكية» بين مصر و «الكيان الصهيوني» لإتمام ما سمي «معاهدة السلام» بين مصر و «إسرائيل»، وقد نشرت هذه التصريحات والتحليلات بعد توقف آلة الحرب في منطقة الخليج، وقد جاء فيها: «والنتيجة العملية للعملية العسكرية الجارية الآن في الخليج ينبغي أن تتمخض عن إيجاد توازن في القدرة العسكرية بين العراق وجيرانه في الخليج.

والذي يشكل صعوبة هو : أن على الولايات المتحدة أن تختار بين حل يترك العراق قوياً جداً، أو يتركه ضعيفاً جداً. وفي النهاية فإن أحد أسباب هذه الأزمة،

هو الطريقة المتحيزة التي دفعت بالدول الغربية للدفاع عن العراق في حربه ضد إيران. متناسين لو أن إيران أضعفت العراق، فإن هناك احتمالاً بأن تكون هي المعتدي القادم. وستكون سخرية إذا كانت هذه الصيغة ستنتج عراقاً ضعيفاً جداً، يجعل من جيرانه، وخاصة إيران، يسعون لملء الفراغ.

إن أحد الأهداف العسكرية - من وجهة النظر الأمريكية - ينبغي أن يركز على قلع الثاب الهجومية للعراق، دون تدمير قدرته على مقاومة هجوم من قبل جيرانه الذين يشتهون ذلك. وعلينا التأكد من أن صواريخ «سكود» لن يتكرر تصنيعها، وعلينا منع العراق من استيراد الأدوات «التكنولوجية» العالية، بما فيها الطائرات ذات الأداء المتطور والمدى البعيد. وكذلك علينا منع العراق من الحصول على وسائل تصنيع الأسلحة «البيولوجية» والذرية مع الإبقاء على القدرة العسكرية التقليدية التي لن تشكل تهديداً للاستقرار على المدى البعيد وإنما ستكون عاملاً مساعداً على ذلك».

ولا أدري عندما يقول «هنري كيسنجر» علينا . . . وعلينا . . . هل يتحدث بصفته يهودياً أم بصفته أمريكياً؟! أم بالصفتين معاً؟!؟

٤ - أمن الخليج . . مسؤولية من؟!

لقد أوجز الأستاذ الدكتور صلاح الدين نكدلي الخيارات المختلفة التي دار الحديث حولها في عواصم البلاد العربية والغربية في ثلاثة خيارات هي :

«الأول: أن تعتمد دول الخليج على أبنائها في تكوين قوة ضاربة قادرة على الردع والتصدي عند وقوع هجوم خارجي، ولكن تكوين مثل هذه القوة يحتاج إلى عامل الزمن اللازم لتدريب الكفاءات وترتيب المعدات. فمن يقوم بالمهمة ريثما يتم تهيئة أسباب تشكيل القوة الذاتية، التي يقف في طريقها عائق آخر هو قلة عدد سكان الخليج واتساع أرضه؟، وينضاف إلى هذين العاملين «المخاوف» التي تتنبأ

حكام المنطقة من تكوين قوة عسكرية يكون من الصعب السيطرة عليها ومنعها من التدخل في الشؤون العامة للبلاد.

الثاني : أن تعتمد دول الخليج على «قوة عربية» في توفير الأمن الضروري، على أن تدفع دول الخليج النفقات والتعويضات، وهذا الاختيار أقرب إلى قلوب الحكام من حيث الظاهر، إلا أن الروابط بين الحكام العرب لا توحى بالثقة والاطمئنان، ويبدو أن دول الخليج تخاف من قلب مزاج حكام مصر وسورية المرشحتين لتكوين نواة هذه القوة، فإذا تغيرت الأمزجة فإن قوات هاتين الدولتين ستصبح مصدر قلق وابتزاز وضغط.

الثالث : الاعتماد على قوى دول كبرى، وفي مقدمتها أمريكا، لأن هذه الدول لن تترك المنطقة هادئة إلا إذا كان لها وجود يحقق مصالحها، وهي تصر على توفير تسهيلات مناسبة مقابل ما قامت به من جهود في أزمة الخليج، والاستجابة لطلبات تلك الدول يحقق في نفس الوقت الأمن الذي تحتاجه دول المنطقة.

ويبدو أن دول الخليج قد اختارت اللجوء إلى القوة الأجنبية في توفير الأمن الخليجي، وهو اختيار يحمل في طياته مخاطر كبيرة، أقلها التأثير على سياسة الدول، ومن ضمنها تحطيم العزة في نفوس المسلمين في منطقة تشل القلب من العالم الإسلامي، ومنها محاولة منع أي تغيير ينبع من أهل البلاد ويتطلع إلى الحرية وتوجيه إمكانات المنطقة لتحرير العالم الإسلامي من براثن الجهل والتخلف والاستغلال الغربي.

إن مسؤولية أمن الخليج تقع على عاتق أبنائه الأخيار، ولكي ينهضوا بهذه المهمة النبيلة ينبغي أن يعيد حكام المنطقة ترتيب الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها من أوجه النشاط البشري بحيث يسمح لجميع الآراء والقوى المخلصة بالمشاركة الفعلية في توفير «أمن الشعوب» وليس «أمن الأنظمة» وفي هذا خير

للحكام ولشعوب المنطقة وللمسلمين وللعالم بأسره»^(٤).

ثانياً: بعض ما كشفتته الحرب من واقع وحقائق:
لقد كشفت حرب الخليج عن كثير من الحقائق التي لم تكن ظاهرة، فضلاً عن أنها أظهرت الواقع البئيس للعالم الإسلامي، وعزت مطامع أمريكا، ونظراً لظروف هذا البحث سوف نشير هنا لبعض من كل ذلك:

١ - واقع الحكام والحكومات في البلاد الإسلامية؛ إن هؤلاء لا يصدر عن الإسلام الحق في مواقفهم وعلاقاتهم، وإنما يصدر عن المصالح والأهواء، ويكفي أن يطلع الانسان على ما قالوه عن بعضهم، وما نشره الصحفيون المقربون من البعض عن الآخرين، وما قاموا به من أعمال ونشر على ألسنتهم من تصريحات وأقوال، إن الاطلاع على قليل من ذلك يرسم الخطوط الرئيسية للصورة، إن هؤلاء الحكام كما يقول الأستاذ الدكتور صلاح الدين نكدلي: «على أتم استعداد لوضع البلاد في أزمات تدمر حاضر الشعوب، وتغلف مستقبلها بغيوم كثيفة... وإن الواجب ليدعو رجال الحركة الإسلامية وشبابها إلى القيام بدور قيادي في توعية الشعوب بحقوقها وواجباتها كي تتمكن من صيانة كيانها وراثتها وثرواتها من عبث الحكام المغامرين والمتاجرين بحاضرها ومستقبلها على مذبح أهوائهم الرخيصة!!...»^(٥)

وإنه يحزننا أن المسؤولين في البلاد العربية لا يقبلون النصيحة من أبناء شعوبهم، في الوقت الذي يتلقى كثير منهم الأوامر من أعدائهم!! ولا يقبلون في وسائل إعلام بلادهم نقداً للمواقف المتخذة في حرب الخليج، في الوقت الذي مكنت فيه وسائل الإعلام الغربية بعض الأقلام والآراء المناهضة لسياسة الحرب والتي أكدت أن ما تم في حرب الخليج كان خطأ متعمداً ويعتبر جريمة لا ينبغي أن تغفر لمن كان السبب فيها.

٢ - مستوى وعي الشعوب الإسلامية والعربية : إنه ما يزال دون مستوى الشعور العميق بالمخاطر والمخططات المعادية . فمن السذاجة - أو الغباء - أن يعتقد إنسان عنده بقية من عقل أن حرب الخليج فيها مهزوم ومنتصر من البلاد العربية ؛ وبالرغم من ذلك يعلن عن الانتصار ويحتفل بالانتصار ، وتحدث أحد المسؤولين في عرض عسكري فقال : « في هذا اليوم نحمد الله ونشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى على نصر من يستحق النصر وأذاق من يستحق العذاب ما أراد لنفسه » والعالم كله يعلم أن الذي انتصر في هذه الحرب هو أمريكا و«الكيان الصهيوني» !!!

إن العرب جميعاً - وبلا استثناء - خرجوا من هذه الحرب منهزمين محطمين خاضعين لليهود والأمريكان . . ومن الكتب التي تفيدنا في هذا الموضوع كتاب : «أمريكا تغزو الخليج» وهو ترجمة لمجموعة دراسات «الكونجرس» الأمريكي حول الخليج ، وقد نشر الأهرام الدولي بتاريخ ١٩٩١/٦/٩ تعريفاً بالكتاب جاء فيه :

«أصدرت سينا للنشر أخيراً مجموعة دراسات الكونجرس الأمريكي حول الخليج في ترجمة دقيقة وشيقة للأستاذ وجيه راضي بعنوان «أمريكا تغزو الخليج» وعلاوة على كونه كتاباً حيوياً لكل من يهتم بالسياسة الأمريكية ونواياها الحقيقية في المنطقة أو بصراعات «الشرق الأوسط» بشكل عام فهو يكتسب أهمية إضافية الآن بعد أن انتهت الحرب وهدأت أترية ورياح «عاصفة الصحراء» فهذا الكتاب الوثيقة هو تقرير الكونجرس الذي صدر منذ ١٥ عاماً وهو عبارة عن «دراسة جدوى» لمشروع احتلال الولايات المتحدة لمنابع البترول» .

إن المستقبل رهن بمستوى وعي الشعوب الإسلامية لذاتها وعالمها وعصرها ، وإن هذا الواقع يفرض على الإسلاميين أن يتقدموا الصفوف لأداء واجب الشهادة على الناس ، ومن هذا الواجب ما قاله الأستاذ الدكتور صلاح الدين نكدلي : « . . وإن على حملة رسالة الإسلام أن يضعوا برامج التوعية التي تفجر في المسلمين

طاقة العلم والوعي والشعور بالمسؤولية حتى تملك الشعوب رؤية واضحة تدفعها إلى عمل صالح صواب وتبعد عنها المستغلين لعواطفها النبيلة. ^(٦)

٣ - مواقف الحركات والجماعات الإسلامية : لا شك أنها لم تكن على مستوى الحدث من ناحية ، فضلاً عن تناقض بعضها من ناحية أخرى ، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ الدكتور صلاح نكدلي حيث قال :

«وأظهرت حوادث الخليج أن جميع فصائل الحركة الإسلامية لم تصل بعد لتكون مرجع الأمة في معرفة الموقف الإسلامي . . وخاصة في الأزمات ! ! . بل إن استخدام طرفي النزاع العربيين للخطاب الإسلامي . . والتأثير من خلاله على مواقف عامة المسلمين . . ليعطي الدليل على جسامة المشكلة . وهذه الظاهرة تدعو الإسلاميين إلى إعادة النظر في طبيعة علاقتهم بالشعوب ، واتخاذ الإجراءات التي تجعلهم المرجع الإسلامي عند الحاجة .

والإسلاميون مدعوون إلى الحوار فيما بينهم ، وأن يسعوا إلى الاجتماع من أجل دراسة الحاضر واستشراف المستقبل واكتشاف سبل العمل المناسبة في الظروف القائمة والمتوقعة . . ونحذر من الوقوف عند التصرفات التي صدرت أثناء أزمة الخليج ، أو بناء مستقبل العلاقة على ما ظهر من تباين في فهم الواقع . . فالأمانة تفرض على الجميع التجرد والسعي إلى تعاون مثمر على البر والتقوى. ^(٧)

٤ - التعصب ضد الإسلام والحقد الدفين عند أكثر أهل الغرب ، كان تعصب أهل الغرب ضد الإسلام والمسلمين والحقد الدفين مغطى بقشرة رقيقة ، حطمتها أزمة الخليج فظهر العداء على صورته الحقيقية ، وتعرض المسلمون في عدد من بلاد أوروبا للمضايقات والاستهزاء والسخرية ، وقامت وسائل الإعلام الغربية بإعداد وتقديم برامج كان أكثرها للطعن في الإسلام ، وطبعت كتب لمستشرقين أو صحفيين عاشوا في عدد من بلاد المسلمين طبعت عديدة ، وبعض هذه الكتب

يحتوي سموماً، ويكفي هنا أن أشير إلى كتاب واحد كتبته الأمريكية Betty "Mahmoody بعنوان مترجم إلى الألمانية "Nicht Ohne meine Tochter" "أي ليس بدون ابنتي".

ولم يقف الأمر عند حد نشر المواد الإعلامية التي تسيء إلى الإسلام والمسلمين فقط، وإنما تعدى ذلك في بعض المناطق إلى الاعتداء على المسلمين كما هو الحال في أمريكا وبريطانيا، ولكن أسوأ المعاملة والنتائج وقعت على المسلمين الذين يعيشون في فرنسا وبلجيكا، ثم تزايدت حملات التخويف من الإسلام حتى أن أحد الأساتذة يقول: «أنتم تتحدثون عن عاصفة الصحراء، وتنسون عاصفة أشد وهي عاصفة الإسلام».

٥ - مأساة الشعب الكردي المسلم وما تعكس من حقائق

سلك أعداء الإسلام والمسلمين، منفردين ومجتمعين، طرقاً شتى لتمزيق الأمة الإسلامية وتفريق شعوبها بغرض إخضاعها لقوى الاستكبار العالمي، فكانت هذه الأعمال بمجموعها صادرة عن خطة متكاملة تحارب الإسلام وأهله وتسعى إلى الاستيلاء على بلادهم وموارد الاقتصاد الأولية والاستفادة من كل ما فيها..

واستحكمت حلقات هذا السخط على الزمن وانتهت بالاحتلال المباشر للديار والسيطرة الاقتصادية والفكرية والسياسية والإعلامية.. وكان من أهم وسائل تحقيق ذلك بعث الدعوات القومية والنعرات العصبية والعرقية بين أبناء الشعوب الإسلامية، فتمزقت ديار المسلمين إلى دويلات عديدة هزيلة وأقيمت حدود مصطنعة رُوعي في وضعها أن تكون سبباً للصراع بين هذه الدويلات، وفي داخل معظم هذه الدويلات عمد الاستعمار إلى وجود قوميات متعددة، فإذا اشتعلت فتنة القوميات واندلعت الصراعات رُج بالجميع في طريق الضلال والاقتتال بدعوى التحرر من سلطان التحكم والاستبداد!!!..

والمستفيد عندما تشتعل الفتنة بين الشعوب المسلمة هو المستعمر الغربي ، فإذا ضعفت الأمة وفشلت لم تعد تُشكل خطراً في المستقبل على مصالح الغرب الاستغلالية ، وإذا تخلفت صناعياً بقيت في موضع التبعية والاحتياج للغرب المتقدم في دنيا الصناعة ، وإذا اندلعت الحروب بينها أصبحت سوقاً للسلاح الذي تنتجه مصانع السلاح في الغرب .

وحديثنا عن الشعب المسلم الكردي إنما هو مثال صارخ لكل ما أشرنا إليه ، فبعد تقسيم البلاد وإقامة الحدود ، تبين أن الشعب الكردي المسلم توزّع على خمسة بلاد هي : تركيا والعراق وإيران وسوريا وأذربيجان ، كل قسم يواجه ألوان الاضطهاد من النظام الحاكم ، كما يواجه كل قسم الاضطهاد أينما كان من قبل الشعوب التي تعيش معه في بلده أو تجاوره خارج بلده ، وكل بلد من هذه البلاد يحاول استخدام من استطاع من «أكراذه» لضرب أعدائه في الأقطار المجاورة ، مقابل الوعود الجوفاء التي لا يتحقق منها شيء ، فأصبح شأن الأكراد وراء هذه الحدود شأن الغريق الذي أحاط به الموت من كل مكان ، فهو يمد يده إلى كل ما يصادفه رجاء أن يكون سبباً للنجاة . . وطبيعي أن شعباً هذا حاله ، لا يجد في حياته متسعاً للتفكير بغير النجاة . . فإذا ما قذف به الموج إلى أي من الشواطئ وجد نفسه في قبضة ساحط عليه لانهيازه . .

وما انتهى إليه الوضع مع الشعب الكردي المسلم ، للدليل يَبِّنُ على ما نصنعه - نحن المسلمين - بأنفسنا وبأيدينا ، ونفتح به الباب أمام النزاعات الداخلية الدامية من ناحية ، كما نوجد الثغرات التي يتسلل عبرها كل عدو طامع في مزيد من السيطرة والاستغلال للشعوب والبلاد من ناحية أخرى . .

ولقد اندفعت بالفعل جماعات من هذا الشعب إلى التخلي عن مُثل إسلامها تحت وطأة حملات العنف والمسح التي سلطت على الشعب الكردي المسلم من

زمن طويل ، بهدف طمس هويته والقضاء على شخصيته ، ولقد سارت جماعات منه وراء الشعارات الخادعة للدعوات الماركسية والقومية والعلمانية ، التي حاولت اجتذاب هذه الجماعات لخدمة مصالح الغرب تحت مختلف الشعارات والأستار . .

والمتتبع لما يتكرر مع الشعب الكردي المسلم من عشرات السنين ، يجد المعارك الدامية التي سالت فيها دماء الأبرياء من الشيوخ والأطفال والنساء ، وهدمت القرى على رؤوس ساكنيها ، وأهدرت طاقات المسلمين وما زالت ، دون أن تظهر بارقة أمل صادق في توقف أعمال التقتيل والتشريد والتدمير . ولقد آن الأوان لأن يجد الشعب الكردي المسلم من يتفهم موقفه ويعمل بجد وإخلاص ليضع يده على مكنم الداء ، حتى يتمكن بعد ذلك من وصف الدواء .

إن نظرة عطف وأخوة إلى مئات الألوف من المشردين ، بل الملايين من هؤلاء الضائعين ، وبخاصة في العراق وتركيا وإيران ، من شأنها أن تثير التساؤلات :

أليس بالإمكان معالجة قضية هؤلاء المظلومين بالحكمة والإنصاف ، بما يقضي على تلك الشكبات التي تعرضوا لها وما زالوا من عشرات السنين؟! هل فقد الحس الإسلامي في البلاد التي يعيش فيها أبناء الشعب الكردي المسلم ، فلم يعد هناك تفهم لمشكلة هؤلاء الخمسة وعشرين مليوناً من الإخوة السنكوبيين؟!!

ألم يقرأ حكام البلاد العربية والإسلامية شيئاً عن تاريخ الأمة الإسلامية أيام العزة والكرامة حين كانت تُحكَّم البلاد بالإسلام العظيم ، وكانت أخوة الإيمان هي التي تضبط مسيرتهم الحضارية ، فلا تنافر بين الشعوب الإسلامية على اختلاف الجنسيات والألوان والقوميات واللغات؟! فلماذا يصّر قادة وحكام البلاد وكثير من الشعوب على السير وراء الناعقين بالدعوة إلى العصبية الجاهلية التي مزقت

الوحدة وقطعت الوشائج والروابط ، وجعلت الأرض مهددة بالدمار فضلاً عن سحبها من تحت أقدام الجميع؟!!

لِمَ كل ذلك الطغيان والاضطهاد من النظام الحاكم في العراق - وليس معنى ذلك أن الأمر مقبول من النظام الحاكم في كل من تركيا وإيران وسوريا وأذربيجان - على مدار هذه السنين للإخوة الأكراد؟ نعم . . . لقد وقعت أخطاء من الإخوة الأكراد - في طريقة مطالبتهم بالعدالة والحصول على حقوقهم - سواء كان ذلك أثناء حرب العراق مع إيران ، أو في أعقاب حرب الخليج ؛ ولكن هل يجوز أن يكون الرد على هذه الأخطاء بالإبادة والتقتيل والتشريد ، واستخدام أسلحة الدمار التي لم تستخدم في مواجهة قوى التحالف بقيادة الولايات المتحدة في أيام تدمير العراق وتقتيل شعب العراق؟!!

لماذا لا يتم الجلوس إلى هؤلاء المنكوبين المشردين ، والاستماع إليهم ، والعمل على رفع الظلم الواقع عليهم ، والبحث في ضوء الإسلام عن علاج لمشكلاتهم الحقيقية امتثالاً لقول الله عز وجل : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۝ ﴾ (النساء : ٥٩) ؟ فهذا هو المنهج الناجع في علاج المشكلات ، وسواه سيؤدي إلى الخسار وذهاب الريح

* * *

إننا نتوجه إلى العرب والمسلمين حكماً ومحكوماً بهذه الكلمات :

١- إن الذي حدث في الشهور القليلة الماضية ، والذي وجدت مقدماته منذ أكثر من عشر سنين ، إنما يرجع إلى غفلتنا نحن المسلمين ، وإلى استغلال الاستعمار القديم والجديد لأوضاعنا . . فكل الاجتهادات التي صدرت عن غير منهج الإسلام ومورست في أرضنا ، ساهمت في تعميق الهوة وزيادة الشقة بين المسلمين ، حتى وقع التناحر والافتتال بين أبناء العقيدة الواحدة والأمة الواحدة . . وانتهى الأمر بها

إلى الشتات والهوان وحتى أصبحنا نعيش - نحن المسلمين - حالة الغثائية التي أخبر عنها الرسول ﷺ ، والسبل للخروج مما نحن فيه إنما يكون بالعودة الصادقة إلى الله عز وجل والاعتصام بحبله المتين ، فإن لم نفعل ذلك فلن نضر إلا أنفسنا وتكون النتيجة كما قال ربنا عز وجل ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ (محمد : ٣٨)

لقد آن لنا أن ندرك أن قوة المسلمين وبقاء ذاتهم لا يكون إلا بوحدهم واعتصامهم بالله تعالى ، إذ لا يوجد بديل عن هذا الطريق في عالم التكتلات الذي يسير دون هدى في طريق «النظام العالمي الجديد» الذي تمليه الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الأيام .

٢ - ما تزال الأمة الإسلامية هدفاً لمحاولات سيطرة أعداء الإسلام والمسلمين ، لذلك هم حريصون على تمزيق كيائها وبث الاضطرابات بين شعوبها وقبائلها ، ونشر أسباب الفرقة من عصبية وتبعيات في جنباتها ، ومن المؤسف أن يجد هؤلاء من بين المسلمين من يساعدهم على تحقيق أهدافهم سواء عن قصد أو عن جهل ، وما حدث أخيراً في حرب الخليج ما هو إلا نموذج لهذه المخططات الخبيثة ، ونموذج لامكانية انسياق بعض الفئات من شعوبنا الإسلامية وراءها والانخداع بها .

وعليه فلا بد من الانتباه إلى أهداف العدو ووسائله فإنه لن ينتهي عن هذه المخططات وطرق تنفيذها ، إلا إذا تحققت أغراضه بالكامل ؛ ولقد لفتنا الله سبحانه إلى ذلك بقوله : ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (البقرة : ٢١٧)

٣ - إننا نتألم - ونحن جزء من الأمة الإسلامية - لكل ما يصيب أي شعب من شعوبها وأي فئة من فئاتها بغض النظر عن الأسباب والمتسببين والأخطاء

والمخطئين، ولقد تألمنا لما أصاب الشعب الكويتي من تقتيل وتشريد واغتصاب وانتهاك، وتألمنا لما أصاب الشعب العراقي من دمار وهلاك وشدة وبلاء، ونتألم كذلك لما حدث ويحدث لإخواننا الأكراد من اضطهاد وتشريد وظلم، ونطالب باسم الإسلام بوقف الظلم ورفع الجور عن هذا الشعب المسلم، وإن لم نتفق مع بعض فئاته على أهدافها، وإن اختلف اجتهادنا مع بعض فئاته حول ممارساتها ووسائلها، وإن أدركنا تماماً تورط بعض فئاته في مخططات وضعها من لا يريد بالأكراد ولا بإخوانهم خيراً ولا صلاحاً.

٤ - لقد حان الوقت لتضميد الجراح التي أصابت الأمة الإسلامية بسبب الأحداث التي وقعت، فعقيدة التوحيد التي نؤمن بها، وأخوتنا الإيمانية تُلزمنا بإزالة الخلافات وإصلاح ذات البين.

ولذلك كله فإننا نناشد النظام الحاكم في العراق، كما نناشد الشعب الكردي المسلم وجميع الحكومات والشعوب الموجودة في المنطقة، نناشد الجميع بأن يرجعوا إلى الله رجعة صادقة، ونناشدهم أن يستشعروا الواجب في هذه الظروف العصبية من حياة الأمة والبلاد، ونناشد الجميع أن يتعاضدوا وأن يعملوا على فتح أبواب التفاهم على أساس الإسلام دين العدل والوحدة لا على أساس العصبية والقوميات والمصالح والأهواء والطغیان والاستبداد. . من أجل رأب الصدع، وإحياء هذه المؤامرة الرهيبة التي تهدف إلى القضاء المبرم على وجود المسلمين وإخضاعهم وبلادهم لمصالح أعدائهم المتربصين بهم جميعاً ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ (الأنفال: ٤٦)

ثالثاً: من نتائج حرب الخليج:

لا شك أن نتائج حرب الخليج تركت بصماتها على جوانب كثيرة ومجالات

متعددة نركز على أهمها فيما يلي :

١ - شيوع روح الإحباط واليأس عند كثير من العرب والمسلمين :

إن الذي تابع أخبار حرب الخليج ويتابع ما أعقبها من نتائج ، يجد عدداً من الأمور التي من شأنها أن تشيع روح الإحباط والقنوط في حياة العرب والمسلمين ، والتي تبعث على اليأس من المستقبل ، ومن ذلك :

(١) وقعت الحرب - كما يقال - تحت شعار «الشرعية الدولية» واشتركت فيها قوات ٣٠ دولة مباشرة ، و ١٣ دولة غير مباشرة ، وتضمن القوات المشاركة دول حلف شمال الأطلسي ، ولكننا نرى الولايات المتحدة في إعلامها تظهر كما لو كانت هي وحدها التي حققت النصر العسكري في هذه الحرب ، ويكفي أن أشير هنا إلى عبارة واحدة تلخص لنا هذه الصورة ، قال القائد الأمريكي : «إن هزيمة الجيش الأمريكي في فيتنام دفنت في صحراء العرب»

(٢) إن الذي يتابع ما أظهرته حرب الإبادة والدمار الشامل في منطقة الخليج ، يستنتج أن هذه الحرب لم تكن حرباً بالمعنى التقليدي ، وإنما تمثل عملية جراحية تأديبية وترهيبية ، فهي عبارة عن إنذار واضح للقوى الكبرى والصغرى على السواء ، فعلى الجميع وخاصة الاتحاد السوفيتي والبلاد العربية أن يفكروا عشرات المرات قبل إبداء أي اعتراض على تصرفات الولايات المتحدة أو مقاومة ما تريد .

(٣) ما أصاب البلاد العربية منذ أن زُرِعَ «الكيان الصهيوني» في فلسطين قلب العالم العربي ، وما نتج عن حرب الخليج من هيمنة للولايات المتحدة و«الكيان الصهيوني» على مقدرات وثروات البلاد . . وإذلال للعرب . . كل ذلك قصد به إشعار الجماهير العربية بأنها مهزومة بل مسحوقة ، ومحكوم عليها أن تكون مسلوطة الإرادة في تسيير أمور بلادها ورعاية شؤونها ، ويستحيل على أي حاكم عربي - في أي أرض عربية - أن ينكر على الولايات المتحدة أمراً أو يخالف الإرادة . . للدلالة

على ذلك أقول :

● إن الذي ينظر إلى صور خروج الجنود العراقيين من المخايء وهم على حال لا يليق بإنسان كريم ، والذي يتأمل في صورة الجندي العراقي وهو يقبل يد القائد الأمريكي وينحني ليقبل القدم ليشعر بالذل والمهانة !!! وإن الذي يرقب الشباب الكويتي وقد ارتدوا العلم الأمريكي ، والذي تابع صورة النساء الكويتيات وقد وقفن في الطريق وهن يهتفن : «يحيا بوش - يحيا بوش . . . » ليشعر بنفس الشعور: الذل والمهانة!! .

● لقد ازداد نفوذ الولايات المتحدة في المنطقة حتى إن بعض النظم العربية ، تطالب الولايات المتحدة بإبقاء قواتها في المنطقة لحماية الأنظمة والسهر على أمن المنطقة . . . وذلك يتطلب بقاء القوات الأجنبية التي تشعر بأنها صاحبة فضل ، أليس هذا استعماراً جديداً يسمح للمتصّر أن يصنع ببلاد العرب والمسلمين ما يريد؟ وقد كانت بعض الأنظمة تعيب على غيرها أنه يقبل بوجود قواعد أجنبية ، أو يجري مناورات عسكرية بالاشتراك مع قوات أجنبية!! .

(٤) لقد ظهرت في وسائل الإعلام العربية في هذه الأيام عبارات ومقولات لها ما بعدها ، وكل تمبير يحصل ملامح مستقبل غير مشرق للعرب والمسلمين ، ومن ذلك «نظام عالمي جديد» «نظام أمني للمنطقة» ، وكان يرافق هذه العبارات مصطلحات أخرى لها مضمونها في حياة العرب ونتائجها القريبة والبعيدة ، مثل : «عاصفة الصحراء» و «درع الصحراء» و «ما بعد العاصفة» ، فكل واحدة من هذه المقولات تمثل مرحلة لها أهدافها ووقتها ووسائلها . . . أما أسماء بعض الآلات الحربية مثل : «با تريوت» وطائرات «الاباتشي» و «الشيخ» و «ب-٥٢» ، كل ذلك له آثاره النفسية والعقلية على أطفال العرب والمسلمين . . . أما صورة الحرب التي تابعها الناس على شاشات التلفزيون وكأنها لعبة من ألعاب «الكمبيوتر» فإنها غيرت

نظرة الناس عن حقيقة الفاجعة الأليمة التي نتجت عن هذه الحرب، وقد ساعد على ذلك غياب وسائل الإعلام عن الساحة الحقيقية لمسرح العمليات العسكرية، والسماح لها فقط بعرض مسارات القيادة العسكرية على الناس..

إن كثيراً من الشباب العربي والإسلامي يشعر وكأنه سقط في هاوية، أو أصبح كريشة في مهب الريح، لقد سقطت البلاد العربية صريعة العواصف الأجنبية وخاصة الأمريكية، التي سينتج عنها تغييرات بعيدة المدى.. يكفي أن بلاد المنطقة أصبحت خاضعة جبراً للواقع «الصهيوني والإمبريالي».. لا فرق بين بلد شارك «متصراً» في تحرير الكويت وآخر منهزم..

خلاصة وبيان:

من ذلك وسواه يتبين:

أ- لقد بلغ الضعف والوهن الذي أصاب العرب والمسلمين درجة تجعلهم على استعداد للتأثر بما تحاوله وسائل الإعلام المعادية للإسلام من بث روح القنوط والإحباط، بل وربما يصل الأمر إلى حالة اليأس من المستقبل، ومن عادة الضعيف أنه في الغالب لا يبحث عن مكنن الداء حتى يتمكن من اكتشاف الدواء، إنما يسوغ لنفسه وغيره الرضخ الذي انتهى إليه، ثم يخلص إلى أنه لا يقدر على التغيير لما هو أفضل وأرضى الله تعالى، وبالتالي يسلم القيادة لمن يتوهم بأنهم قادرون على قيادته لأنهم يملكون كل شيء، ولو اتبع العرب هذا التحليل، لكانت النتيجة هي التسليم المطلق للولايات المتحدة و«الكيان الصهيوني»..

ب- إن الإنسان يحس بل يدرك أن الولايات المتحدة والغرب - في غمرة النصر العسكري الذي تحقق - قد أعطت لنفسها حقوقاً ليست لها، ولم يتنازل عنها أصحابها الحقيقيون، وهذه الحقوق لو تركت لمن انتزعها دون محاولة إيقافه عند حدوده، فإنها ستتحول إلى نوع من «الوصاية» أو «الاستعباد» وهذا الخطر يتعاظم يوماً بعد يوم، ويخشى الإنسان أن يتحول الأمر إلى حقيقة واقعة تسلم بها الأجيال

ولا يمكن إرجاعها..

فالأمريكان والغرب يتحدثون في هذه الأيام عن إجراءات لا بد من اتخاذها لتطوير النظم والتصورات القائمة في المنطقة لتصبح نظماً تتمشى مع الغرب وأمريكا، وتبتعد عن عقيدتها وعن دينها..، وأمكنهم إيجاد مناطق منزوعة السلاح بين البلاد العربية - فلم تعد الحدود التي رسمها المستعمر القديم على الخريطة الجغرافية كافية لعزل البلاد عن بعضها -، كما أمكنهم أيضاً إصدار قرار من «مجلس الأمن» يفرض على العراق - وليس هذا دفاعاً عن العراق - تدمير مخزونه من الصواريخ وأسلحة الدمار الشامل، وإلزامه بعدم اقتناء مثل هذه الأسلحة مستقبلاً، وذلك دون إلزام للكيان الصهيوني باتباع إجراء مماثل، ومثل هذا الإجراء الذي لا يتم في إطار شامل للحد من سباق التسلح غير مقبول..

ومما لفت الانتباه أن رئيس وزراء بريطانيا أثناء زيارته للاتحاد السوفيتي في أعقاب الحرب، حاول الحصول على تعهدات سوفيتية بمنع تصدير السلاح للعراق، في الوقت الذي أسرع فيه عدد من دول أوروبا وأمريكا إلى إمداد الكيان الصهيوني بكميات ضخمة من الأسلحة المتطورة!!

بعبارة موجزة يمكن القول بأن أمريكا ودولاً غربية - ومن لصياغة مستقبل البلاد العربية بالطريقة التي يرغبون فيها. كما يحاولون انتزاع دفة تسيير الأمور من أيدي أبناء البلاد، بدعوى عدم القدرة على التسيير والعجز الظاهر.. ولا أمل لهم في مستقبل آخر.. فقد تحول العمل عن تصفية «صدام حسين» إلى عمل تدريجي يهدف إلى تصفية مصادر القوة في البلاد العربية، وتحويل هذه البلاد إلى أشكال هلامية تستخدمها القوى الكبرى وخاصة أمريكا في تحقيق مصالحها وأهوائها..

٢ - على مستوى القضية الفلسطينية، وقعت تحولات كبيرة، ولم يقف الأمر عند تجنب ذكر «منظمة التحرير الفلسطينية» في أي المجالات أو الوثائق الرسمية، ولم تقتصر التحولات الكبيرة في مواجهة «الكيان الصهيوني» والالتزام بالمخططات

المستقبلية المعروضة للسلام والتعامل الاقتصادي وتطبيع العلاقات، وما أصاب أبناء فلسطين على أيدي «إخوانهم» في الكويت وفي جنوب لبنان وغير ذلك من البلاد العربية الخليجية كان كارثة وإنما وصل الأمر إلى محاولة تغيير التاريخ كما عبر عن ذلك الأستاذ الدكتور صلاح الدين نكدلي في خاطره التي أجاب فيها على سؤال: «هل يحذف تاريخ فلسطين»؟! حيث قال:

«دفع إليّ أخ كريم الصفحة ١٢ من جريدة المدينة - السعودية - الصادرة في ١٢ من ذي القعدة ١٤١١هـ، وعنوان هذه الصفحة «الشيخ بن دهيش يوافق على حذف موضوعات بالمقررات الدراسية بمختلف المراحل»، وفي صدر الموضوع قال كاتبه عبد الرزاق السنوسي:

«وافق معالي الرئيس العام لتعليم البنات الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش على حذف عدد من الموضوعات من مقررات سنوات النقل في مختلف المراحل... ويتضمن بيان الموضوعات المحذوفة من مقررات المرحلتين الابتدائية والمتوسطة للعام الدراسي ١٤١١هـ» ثم سرد الكاتب المواضيع المحذوفة في أبواب «العلوم الدينية، والعلوم العربية، والمواد الاجتماعية، والعلوم». ولقد شدّ انتباهي حذف مواد تاريخية ترتبط بقضايا حساسة وهامة في حياتنا معشر المسلمين، وأكتفي هنا بالإشارة إلى السواد التي حذفت ولها علاقة جوهرية بكبرى قضايانا «فلسطين». وقد وردت على النحو الآتي:

■ «الصف الثاني - معلمات: الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. الباب الثاني: الفصل الخامس - من ثالثاً: من صفحة ٢٠٧ حتى نهاية ٢١٧ - العدوان الصهيوني واغتصاب فلسطين حتى نهاية التبشير».

■ التاريخ - الطبعة العاشرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - الصف الثاني بالمراكز التكميلية - كتاب ثالث متوسطة - الباب السابع، من ص ٢١٧ إلى ص ٢٣٦،

الفصل الأول: «القضية الفلسطينية»

وتحت عنوان «بيان بالموضوعات المحذوفة بمدارس تحفيظ القرآن الكريم» ورد بشأن فلسطين الآتي:

■ «الصف الثالث: يحذف من الباب السابع الفصل الأول والثاني «القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني» من ص ٢١٧ إلى ص ٢٢٩».

ولقد وفقت طويلاً وأنا أفكر في حذف مثل هذه المواضيع التي لا تشكل في عدد صفحاتها عبئاً على الطلبة، وسألت نفسي والألم يعتصر قلبي: لمصلحة من تقوم وزارة التعليم في المملكة العربية السعودية بحذف بحوث أساسية في صراعنا الحضاري مع اليهود، ومع من زرع يهود في ربوعنا، وخاصة في هذه الظروف الحرجة من تاريخ أمتنا المعاصر؟!.

إنني لم أجد باعثاً يدفع إلى حذف البحوث المرتبطة بفلسطين يخرج عن الاحتمالات الآتية:

١ - أن يكون الباعث على الحذف سياسة الانتقام من أبناء فلسطين بسبب موقف عامتهم، وموقف منظمة التحرير الفلسطينية، من أزمة الخليج الأخيرة، وهذا الاحتمال يعزز إجراءات انتقامية صدرت في دول مجلس التعاون الخليجي أثناء احتلال العراق للكويت وبعد خروجه منها ونالت من أهلنا في فلسطين وخارجها!!

٢ - أو أن يكون الدافع إلى الحذف سياسة تخفيف العداء لليهود تمشياً مع روح الاستسلام والخنوع والهوان التي زرعت من سنوات في السياسة العربية الرسمية تحت عنوان «مشاريع السلام». ويشهد لهذا الاحتمال ارتفاع نسبة الشعور بالحاجة إلى أمريكا التي تضغط على الجميع ليقدموا تنازلات لإسرائيل، وتمارس ضغطاً خاصاً لإدخال السعودية وبقية دول الخليج في المؤتمر الإقليمي المقترح من قبل «إسرائيل» لتسوية المشكلات مع الدول العربية!!.

٣ - ولربما كانت « الغفلة » وراء حذف المواضيع المشار إليها ، وهذا الاحتمال ليس بمستبعد ، فكم في مراكز القرار - في عالمنا الإسلامي - من رجال يجهلون القيمة الحقيقية للأمانة التي يحملونها؟ . وقد تكون الغفلة باباً يلج منه « حب الانتقام » ويتسرب من خلاله « الخنوع والاستسلام » !!

ولكن . . مهما يكن الباعث على حذف ما يتعلق بفلسطين من برامج الدراسة فإن الاتهام في « الأهلية » أو « النية » أو في الأثنين معاً قائم ، وإننا لنشجب مثل هذه الأعمال الخطيرة ونحذر من نتائجها الوييلة .^(٨)

٣ - العلاقات بين دول الشمال وبينها وبين بلاد الجنوب :

أعطت حرب الخليج مؤشراً للعلاقات الدولية في المرحلة المقبلة ؛ أما العلاقة بين دول الشمال فهي ليست واضحة تماماً ، فهناك التوجه الأمريكي في إبقاء أساس العلاقات فيما بين الدول قائماً على التعاون والاحتكار وتقسيم الحصص ضمن التصور الأمريكي وتحت زعامتها ؛ وقد تحقق هذا النموذج في وقت الحرب بتقسيم الأدوار العسكرية وتوزيع تكاليف الحرب ، وسيستمر بعد الحرب عن طريق مشاركة البلاد في حصول كلٍ على نصيب من أعمال إعمار بلاد الخليج .

أما العلاقة بين دول الشمال - الصناعية - وبلاد العالم الثالث فهي متجهة إلى سيطرة الشمال على الجنوب أكثر فأكثر ، وضرب الصحوحة الإسلامية بعنف ، فتدهور قدرة أمريكا التنافسية على مستوى الاقتصاد والمال في مواجهة عمالقة الاقتصاد الجدد في اليابان وألمانيا الموحدة وأوروبا الموحدة ، يجعلها تنجس إلى تطبيق سياسة الاحتكار وضبط الأسواق ، وإقامة نظام اقتصادي شديد السيطرة على الثروات والمال والاقتصاد والسوق ، دون إلغاء السوق الحر والمنافسة ، على أن كل ذلك تحت مظلة اتفاقات دولية تضع خطوطها الرئيسية الدول الصناعية السبع الكبرى وصندوق النقد الدولي واتفاقيات التجارة والصناعة . . . الخ

وقد كان المتوقع بعد انتهاء فترة الحرب الباردة أن يتشكل عالم جديد تبرز فيه

عدة أقطاب اقتصادية متنافسة وخاصة أن القوة الاقتصادية لكل من اليابان وألمانيا الموحدة وأوروبا الموحدة، هي قوة نامية متطورة فلو ترك الأمر على هذه الطبيعة لكان ذلك في غير صالح أمريكا والصهيونية العالمية، ولذا عملت أمريكا - بما لها من نفوذ سياسي واقتصادي وعسكري بعد الوفاق الدولي - على أن تكون صاحبة اليد الطولى في مقبلات الأيام في السيطرة على منابع النفط في الخليج . .

ويرى الأستاذ محمد عيسى النصرأوي : « أن العلاقة فيما بين بلدان الشمال تواجه احتمالين أو طريقين : أحدهما طريق النظام الاقتصادي العالمي المنضبط شبه الاحتكاري، وفق المنظور الأمريكي - البريطاني - الصهيوني، وثانيهما نظام اقتصادي عالمي متعدد القطبية وتغلب عليه فوضى التنافس الاقتصادي، وإن حظوظ هذا الاحتمال بالغلبة أقل من حظوظ الاحتمال الأول»^(٩)

وإنني أعتقد أن هذه المرحلة التاريخية التي يمكن تسميتها مرحلة ما بعد حرب الخليج تتطلب إجراء دراسات عميقة ومكثفة، لقراءة طبيعة الصراعات المستقبلية وسماتها وخصوصاً في البلاد العربية والإسلامية.

٤ - دور الإعلام في توجيه الشعوب :

لقد شعرت وسائل الإعلام وخاصة الغربية بأنها استُخدمت لتضليل الشعوب قبل وأثناء الحرب، فقد قامت هذه الوسائل عن علم أو عدم علم بأبشع عمليات العبث بعقل الإنسان وفكره وعواطفه، وهذا الموضوع يحتاج إلى دراسة خاصة به، لأهميته والله تعالى أسأل أن يوفق لذلك مستقبلاً.

(١) حقائق حول أزمة الخليج، ٨ - فبراير ١٩٩١، دار مكة المكرمة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م، ص ٤

(٢) «استراتيجية» الصهيونية و«إسرائيل» تجاه المنطقة العربية والحزام المحيط بها، ترجمات خاصة بمؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق، سنة ١٩٨٢ م، ص ٤١ و ٤٢.

(٣) الخليج العربي بين «الأمير باليين» والطامعين في الزعامة، غريغوري بوندارفسكي، موسكو، سنة ١٩٨١ م، ص ١٣٤.

(٤) مجلة «الرائد» تصدرها الدار الإسلامية للإعلام، بون - ألمانيا الاتحادية، العدد ١٣٤ شوال سنة ١٤١١ هـ (أيار - مايو سنة ١٩٩١ م) ص ٤٤ - ٤٦.

(٥) مجلة «الرائد»، مرجع سابق، العدد ١٣٣.

(٦) المرجع السابق. (٧) المرجع السابق.

(٨) مجلة «الرائد» مرجع سابق، العدد ١٣٥. (٩) مجلة «الإنسان» مرجع سابق، العدد ٤ ص ٤٧.

المبحث السابع

أسباب القوة لا تدوم . . فانهضوا بمسؤوليتكم أيها المسلمون

الحمد لله رب العالمين جعل لنا هادياً نرجع إليه في كل وقت وحين، ﴿إن هذا الكتاب يهدي للتي هي أقوم ويشرح المؤمنين﴾ (الإسراء: ٩) ، نعرض ما وقع على كتاب ربنا لتبيين الخطأ فنصحح ، ونكتشف النقص فنستكمل ، مستعينين بالله تعالى ، غير مستسلمين للإجباط والقنوط ، ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ (الحجر: ٥٦) .

إننا إذا رجعنا إلى كتاب ربنا عز وجل باحثين عن أسباب مصائبنا ، وأسباب ما نزل بنا من النكبات والنوائب لتبين لنا أن كل ذلك من عند أنفسنا ، فنحن الذين ابتعدنا عن هداية رب العالمين ، وتركنا منهجه القويم ، وأسلمنا القيادة لمناهج أخرى غير الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ لقد أخبرنا الخالق سبحانه في عدد من الآيات أن المصائب التي تحل بالبشر من صنع أيديهم فقال سبحانه : ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ (الروم: ٤١) وقال عز وجل : ﴿وما

أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعنفو عن كثير ﴿ (الشورى: ٣٠)
وهنا يجب على الدعاة المخلصين والحركات الإسلامية الصادقة أن يبينوا ما
أصاب الأمة وأدى بها إلى هذا الضعف، ثم لابد من منهج يأخذ بالأيدي للتطهير
والخروج بالناس من هذه الحال إلى الحال التي يرضى عنها الرب سبحانه وتعالى
بالتزام شرعه واتباع منهجه، ومن المفيد هنا أن أذكر نفسي والإخوة القراء بما يلي :

أ- الانطلاق من أن السبب الأساسي في الضعف الذي لحق بالأمة يرجع إلى
الإنسان نفسه لقول الله عز وجل في الرد على المسلمين حين تساءلوا في أحد عن
سبب الهزيمة قائلاً: ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا، قل
هو من عند أنفسكم﴾ (آل عمران: ١٦٥) . كما بين سبحانه للعظة والعبرة أن ما أصاب
يهود بني النضير في زمن الرسول ﷺ يرجع إلى ما كان بأنفسهم، ولم يكن بسبب
النقص في الذخيرة أو الآلة الحربية أو العدد أو الحصون، ولكنهم أوتوا من قبل
أنفسهم، قال تعالى: ﴿ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله
فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم
وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ (الحشر: ٢) .

فمركز الثقل في أسباب ضعفنا وانحطاطنا نحن العرب والمسلمين يرجع إلى
أنفسنا، وليس لنا إلا أن نتذكر قول الرسول في الحديث القدسي: «... فمن وجد
خيراً فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»^(١) .
وطريق الإصلاح والخروج من هذه الحال نجده في قول الله عز وجل: ﴿إن الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد: ١١) ، وقوله سبحانه: ﴿والذين
جامدوا فيتنا لتهديهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (المنكبر: ٦٩) .

ب - كما أرشدنا القرآن إلى أنه كان يمكن اكتشاف هذا الضعف والتعرف إلى
أسبابه إذا توقفنا بعد كل مرحلة من مراحل الحياة وعرضنا الأوضاع على كتاب الله

عز وجل وعلى سنة الحبيب محمد ﷺ، فمظاهر هذا الضعف والانحطاط قد ظهرت من زمن طويل، بانحرافنا عن منهج الله تعالى وتبعيتنا للأنظمة الغربية، وتزيين المناهج الوضعية من قومية واشتراكية وبعثية وغير ذلك، حتى انحصر الإسلام في الشعائر التعبدية وأصبحت تلاوة القرآن مجرد ترديد للآيات، والقراءة في المناسبات، وغاب الوعي من حياة الأمة والشعوب، وأصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عملاً غريباً، وقد ساهم في كل ذلك الجميع: الحكام والعلماء والعامّة، وشاعت روح الاستسلام للأمر الواقع، فنشأت أجيال بعيدة عن الإسلام، وليس لديها الجرأة على الجهر بالحق وأصبحنا نعيش حياة الغثائية التي حذرنا رسول الله ﷺ منها، وشاعت روح عدم المبالاة.. فأصبح الإنسان سلبياً في مجتمعه..

ولقد لفتنا إلى ذلك كثير من العلماء والدعاة، وما بقي إلا أن ننقل هذا الذي كتب من الناحية النظرية إلى الواقع العملي من خلال منهج مرحلي يأخذ عامل الزمن في الحسبان، وسأكتفي بالذكر بما قاله الأستاذ الندوي في عبارة مختصرة: «إن أكبر مهمة دينية في هذا العصر، وأعظم خدمة وأجلها للأمة الإسلامية هي دعوة السواد الأعظم للأمة وأغليتها الساحقة إلى الانتقال من صورة الإسلام إلى حقيقة الإسلام».

أولاً: قوة الأقوياء لا تدوم فلا تيأسوا

تحدث الأستاذ جوزيف س. ناي في كتابه «هل الامبراطورية الأمريكية على وشك السقوط؟» عن أسباب القوة والمعايير التي تعتبر عند الحديث عن قوة ما في عالم اليوم. وفي ختام دراسته وضع جدولاً يوحى بعبر لمن تأمله، وننقل إلى القراء هذا الجدول كما ورد: (٢)

وزن مصادر القوة اليوم

	الثقيلة			الخفيفة		
	الموارد الأساسية	عسكريا	اقتصاديا	علميا وتقنيا	التماسك الوطني	الثقافة العالمية
الولايات المتحدة	قوية	قوية	قوية	قوية	قوية	قوية
روسيا	قوي	قوي	متوسطة القوة	متوسطة القوة	ضعيف	متوسطة القوة
أوروبا	قوية	متوسطة القوة	قوية	قوية	ضعيفة	قوية
اليابان	متوسطة القوة	ضعيفة	قوية	قوية	قوية	متوسطة القوة
الصين	قوية	متوسطة القوة	متوسطة القوة	ضعيفة	قوية	متوسطة القوة

هذا الجدول يظهر لنا أن هذا القرن قد شهد انحساراً في قوة دول وممالك ونمواً في إمكانيات دول أخرى، ونذكر على سبيل المثال «بريطانيا العظمى» المملكة التي قيل عن امتداد سلطانها في الأرض: «المملكة التي لا تغيب عنها الشمس». ويذكر لنا التاريخ أن أمريكا كانت منطقة تدور في فلك المملكة المتحدة، ثم دار الزمان دورته، وإذ بسُلطان بريطانيا يُنتقص شيئاً فشيئاً حتى وصل درجة أصبحت فيها بريطانيا كوكباً في فلك الولايات المتحدة الأمريكية!

هذا الدرس الذي برز لنا من تأملنا في الجدول السابق ينبغي أن نزرعه في قلوبنا معشر المسلمين؛ فهذه المرحلة التي نعيشها هي مرحلة تداعي الأمم إلى قصعة بلادنا، لأننا غشاء كغشاء السيل، ينبغي أن لا تنال من إيماننا وعزائنا، فالبأس موت والأمل حياة. ولقد أعجبتني كلمة رائعة للأستاذ عصام العطار بعنوان «لا تيأسوا أيها المسلمون» وردت في كتابه «من بقايا الأيام». وحرّى بنا في هذه الأيام التي تموج فيها بلادنا بفتن تجعل الحليم حيراناً، أن نحیی في قلوبنا ما في كلمة الأستاذ عصام من المعاني الكريمة النبيلة. . إنه يقول:

«لا تيأسوا أيها المسلمون

لا تيأسوا من أنفسكم

لا تيأسوا من مستقبلكم

لا تيأسوا من ربكم

لا تيأسوا، فإنَّ البأس هو الموت، وهذا ما يريدكم أعداؤكم: هذا ما تريده «إسرائيل»، وما يريد الشرق والغرب، ومن يعيشون بينكم من عبيد الشرق والغرب واعين أو غير واعين ما يقتربون

* * *

لا تيأسوا أيها المسلمون

لا تيأسوا رغم هزائمكم في كل مكان، وتخلفكم في كل ميدان، وانقسامكم على كل صعيد، وانشغالكم بالتؤافه والصغائر عن عظام الأمور. لا تيأسوا فإنَّ بإمكانكم أن تتجاوزوا كل هذه السليبيات بمعرفتها ومعرفه أسبابها، وبالألم الصادق منها، والرفض الكامل لها، والتصميم القاطع على تجاوزها مهما كلف ذلك من جهد وصبر وتضحيات

* * *

لا تيأسوا أيها المسلمون

لا تيأسوا، فلعلَّ النكبات التي نزلت بكم، والتجارب التي روعتكم ولوعتكم، والنيران التي أحرقتكم وصهرتكم، قد كشفت عن أعينكم الحجب، ونفت عن نفوسكم الخبث، وميزت لكم بين الحق والباطل، والصحيح والزائف، والصدق والكذب، وبيّنت لكم بما لا يدع مجالا لشك أو لبس أنه لا مُعْتَمَدَ لكم إلا الله، ولا طريقَ لكم إلا الاسلام، وأنَّ ما انخدع به كثيرٌ منكم من الشعارات والدعوات، ومن صداقة الشرق والغرب لم يكن في حقيقته إلا ﴿كَسْرَابٌ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ (النور: ٣٩) وهذا كله يُعِدُّكم من خلال الآلام العميقة، والتجارب المريرة والرؤية الداخلية والخارجية الواضحة، لانطلاقة جديدة

واعية مصممة على طريق الإسلام العظيم؛ طريق المستقبل العظيم لكم ولكل البشر

* * *

لا تيأسوا أيها المسلمون

لا تيأسوا، فالإسلام - إن رجعتُم إلى الإسلام - يضع في أيديكم مفاتيح التغيير
الضروري المنشود

افروا قول الله عز وجل: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو
عن كثير﴾ (الشورى: ٣٠)

وقول الله عز وجل ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد: ١١)
ففي هاتين الآيتين الكريمتين سرُّ دائكم ودوائكم، وتخلفكم وتقدمكم،
وضعفكم وقوتكم، وهزيمتكم ونصركم في كل زمان ومكان وميدان

* * *

لا تيأسوا أيها المسلمون

لا تيأسوا، فالإسلام - إن صدقتم الرجعة إلى الإسلام - يمنحكم عقيدة أرسخ
من الجبال، وأقوى من الطاعوت، وأبقى من الدنيا، ويرفعكم إلى مستوى أهدافه
الكبار الكبار، ويوحد بعقيدته وأهدافه ومنهجه قلوبكم وصفوفكم المفرقة، ويجمع
عليها جهودكم وطاقتكم المبعثرة المبددة، ويحفزكم ويولد فيكم طاقات لم تكن
من قبل، ويقرد خطاكم ونحطى البشر بكم إلى خير الدنيا والآخرة

* * *

لا تيأسوا أيها المسلمون

لا تيأسوا، فإننا نملك كل أسباب التغيير، وكل أسباب النهوض، وكل أسباب
النصر. . إن صدقنا مع الله، وصدقنا مع أنفسنا، وصدقنا العمل والجهاد والجهاد
في سبيل الله عز وجل

* * *

إننا نملك الإيمان والإرادة والثقة المطلقة بنصر الله إن نصرناه

إننا نملك المنهج الإلهي الأقوم في كل جانب من جوانب الحياة
إننا نملك الإمكانيات البشرية والاقتصادية والاستراتيجية الضخمة
إننا نملك كل المؤهلات اللازمة لتجاوز واقعنا الفاسد الوضع، وسلباتنا الكثيرة المهلكة
فتعالوا - أيها المسلمون - نغير ما بأنفسنا، حتى يغير الله ما بنا . . تعالوا نحدث
الانقلاب الإسلامي المنشود في حياتنا ومجتمعاتنا، حتى تنطوي صفحة الماضي
الذليل الحقيقير، وتفتح صفحة المستقبل العزيز الجليل . . تعالوا تعالوا ولا تعودوا
إلى الغفلة والضلال، وإلى سبل الفرقة والضياغ والهلاك

* * *

وليعمر الأمل صدوركم أيها المسلمون

الأمل في أمتكم

والأمل في أنفسكم

والأمل في مستقبلكم

والأمل في ربكم وفي نصره الموعود، ولتقنونا الأمل بالعمل الجاد المخلص
البصير، فلا جدوى لأملٍ دون عمل ولا تأسوا أبداً أبداً مهما كانت الظروف،
فاليأس والإيمان ضدان لا يجتمعان ﴿إنه لا يأس من روح الله إلا القوم
الكافرون﴾ (يوسف: ٨٧) (٣)

ثانياً: لابد من العمل مع الأمل

عند الحديث عن المستقبل يكثر القول أن المستقبل للإسلام، وهذه حقيقة لا
خلاف حولها . . ولا شك أن التذكير بهذه الحقيقة يقوي العزيمة ويبعث الأمل عند
الشباب وهذا أمر طيب والحمد لله، ولكنني أخشى أن نتكل على الأمانى ونحلم
بالمستقبل أو نتصور أنه يمكن أن يقع النحول في حياة المسلمين نحو هذا
المستقبل بيسر وسهولة . .

لقد لفتنا القرآن الكريم إلى هذه القضية، فالقضية ليست أمانى وحسب أو أحلام

يقظة، وإنما هي قضية عقيدة يؤمن بها الإنسان ويعمل على تحقيقها بالبذل والتضحية، ويدل على هذه المعاني نصوص كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿ليس بَأْمَانِيَّكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ، مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (النساء: ١٢٣ - ١٢٤)

كما عبر عن هذه الحقيقة قديماً الشاعر العربي فقال:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس
نعم لقد وعد الله تعالى المؤمنين بالاستخلاف والتمكين والأمن فقال عز وجل ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ (النور: ٥٥) ولكن ينبغي علينا أن ننظر مع الوعد إلى الشرط الذي اشترطه تعالى لتحقيق الوعد «وعملوا الصالحات» وإننا معشر المسلمين نؤمن أن وعد الله حق وبشرى رسول الله ﷺ حق، ولكن هذا الأمل الكبير يحتاج إلى الأعداد والاستعداد فكلما كبرت الآمال كلما ازدادت المسؤوليات، وعظمت التضحيات. ومن حكم العرب في هذا المجال قول الشاعر:

بصرت بالراحة العليا فلم أرها تنال إلا على جسر من التعب
والجماعة الأولى مع رسول الله ﷺ لم يحدث لها الأمن بعد الخوف والتمكين والاستخلاف في الأرض، إلا بالبذل والتضحية والثبات على الحق، ولنتأمل قول الله تعالى وهو يذكرنا بأوضاع أسلافنا: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾ (الأنفال: ٢٦)

وقيل للإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - يوماً: هل لنا أن نمكّن أو نبتلى؟ فقال: لا نمكّن حتى تبتلى؛! إن الله لم يعط نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً

صلوات الله وسلامه عليهم حتى صبروا، وتدبر قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبًا وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤)

نماذج رائعة في التصميم على العمل
سوف أستعرض فيما يلي من القرآن الكريم وصحيح الحديث بعض النماذج
التي تحتاج إلى تدبر وتأمل:

١ - عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: «من يأخذ مني هذا؟» فبسطوا أيديهم كل إنسان يقول: أنا أنا، قال: «فمن يأخذه بحقه؟» فأحجم القوم، فقال أبو دجانة رضي الله عنه: أنا آخذه بحقه ففلق به هام المشركين. (رواه الامام مسلم في صحيحه)
وقوله أحجم القوم أي توقفوا، وفلق به أي شق به، وهام المشركين أي رؤوسهم؛ فلتدبر من هذا الحديث كيف كان السلف على درجة كبيرة من الصدق مع النفس والصدق مع الله تعالى والرسول ﷺ.

٢ - عن جابر رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أُحُد: أ رأيت «أي أخبرني»، إن قتلت فأين أنا؟ قال: «في الجنة» فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل. (متفق عليه)؛ مرة أخرى الصدق مع الله، والتصديق بما أخبر رسول الله ﷺ، والطمع في الجنة والنظرة لما هو وراء هذه الدنيا، إن هذا الرجل المؤمن لم ينظر نظرة محدودة بالدنيا الزائلة، وإنما نظر إلى الآخرة وما وعد الله تعالى به فهانت عليه الدنيا وصغرت في عينه ولم يعد يطيق صبراً أن يأكل تمرات كانت في يده!!!

٣ - قال تعالى في وصف المؤمنين يوم الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٢)

لَمْ لَقَدْ آمَنَ هَؤُلَاءُ بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَعْدِ رَسُولِهِ ﷺ . . . وَكَانُوا عَلَى مَسْتَوًى مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣) وَمِنْهُمْ مَنْ ثَبَتُوا عَلَى الطَّرِيقِ وَمَضُوا فَلَمْ يَخَافُوا مَا خَوْفُهُمُ الْأَعْدَاءُ ، وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَوَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّمَا اسْتَجَابُوا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ ﷺ ، فَسَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ قِرَاءًا يَتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَيْثُ قَالَ : ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَمَسَّهِمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَائِهِ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٢ - ١٧٥)

٤ - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءُ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةُ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ . قَالَ أَنَسٌ : فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢) ، جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ ، وَإِنْ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ ، وَإِنَّمَا صَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى أَرْجُو بَرَّهَا وَذَخَرَهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَخُذْ ذَلِكَ مَالٍ رَابِعٍ ! وَقَدْ سَمِعْتَ مَا قُلْتُ ، إِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : أَفَعَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ (٤) (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) ؛ تَدْبِيرُ ذَلِكَ التَّفَاعُلِ الْمُبَاشَرِ مَعَ مَا نَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ وَبَيْنَ رَسُولِهِ ﷺ .

توجيه للمستقبل :

هنا يخطر على بال المسلم مباشرة : أين نحن من هذه النماذج الرائعة ؟! أخشى أن ينطبق على كثير منا نحن المسلمين في هذه الأيام ما ورد في أسباب نزول قوله

تعالى : ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين﴾ (الحج : ١١) فقد ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان الرجل يقدم المدينة فيسلم ، فإن ولدت امرأته غلاماً وتنجت خيله ، قال : هذا دين صالح ، وإن لم تلد امرأته ولداً ذكراً ولم تنتج خيله ، قال : هذا دين سوء ، فأنزل الله ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف . . .﴾ الآية . . . فأذكر نفسي وإخواني في هذه الأيام الصعبة والفتن المتلاحقة بقول رسول الله ﷺ : «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ، ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ، ويصبح كافراً يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل» (رواه مسلم في صحيحه وغيره) ، إن الأجيال التي استعبدتها الدنيا وأصبحت لا تنظر إلى ما وراء هذه الدنيا لا يمكن أن تصنع المستقبل ، وعليه لابد من جيل يؤثر الأجلة على العاجلة يستمع لقول الله تعالى : ﴿فبشر عباد ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ (الزمر : ١٧-١٨) وقول الله عز وجل : ﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾ (البقرة : ١٤٨) ، فإذا بهم خير خلف لخير سلف وعندئذ يقع التحول المنشود ، والله أسأل أن يجعلنا ممن يتبعون القول العمل .

ثالثاً : انهضوا بمسؤوليتكم . . أيها المسلمون

إن إيمان المسلم بمسؤوليته بين يدي الله عز وجل عن عمله ، وعما كلفه الله تعالى القيام به من أعمال ، جزء من عقيدته لا يقبل الجدل ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تزول قدما عبدٍ حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه ما فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق ، وعن جسمه فيم أبلاه)^(٥)

وفي القرآن إشارات إجمالية وتفصيلية تتحدث عن المسؤولية نذكر منها قول الله تعالى : ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ (الحجر : ٩٢ و٩٣) ؛ وقال عز

وجل : ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾ (الأعراف: ٦) ؛ وقال تباركت
أسماءه : ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ (الاسراء: ٢٦) .
كما يعتقد المسلم أنه مسؤول أمام الله عز وجل عما استرعاه عليه ، وأناط به
أمره ؛ لقول الرسول ﷺ : (كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع ،
وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ، وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية
في بيت زوجها ، وهي مسؤولة عن رعيته ، والخادم راع في مال سيده ، وهو مسؤول
عن رعيته ، والرجل راع في مال أبيه ، وهو مسؤول عن رعيته ، فكلكم راع ، وكلكم
مسؤول عن رعيته) ^(٦) وقول الله عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم
وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾ (التحريم: ٦) .

والمسؤولية بالمعنى المشار إليه تنقسم إلى عينية فردية وجماعية ، ولا يتسع الحيز
المحدود في مثل هذا البحث للحديث عن نماذج كثيرة من هذه المسؤوليات ، وإنما
سأكتفي هنا بعرض عدد من النماذج الهامة لاستشعار المسؤولية والنهوض بها عسى
أن يكون في ذلك النفع والفائدة - إن شاء الله تعالى - .

١ - المسؤولية العينية الفردية تنتظم جميع الواجبات التي أمر الشرع بها ، وأن
يأتي الإنسان من المندوبات بقدر ما يستطيع ، كما تتضمن أيضاً أن يمتنع الإنسان
عن المحرمات ، ويتجنب السكروحات ما أمكن ، فالمسلم الذي يصدر عن شريعة
الإسلام ، يعتقد أنه سيقف بين يدي ربه عز وجل للحساب ، قال تعالى : ﴿وكلهم
آتيه يوم القيامة فرداً﴾ (مريم: ٩٥) .

حيث يطلع الإنسان على ما قدمت يداه : ﴿وكل إنسان الزمناء طائره في عنقه
ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
حسيباً﴾ (الاسراء: ١٣ و ١٤) .

ولا يرضى الإسلام للمؤمن أن يكون إمعة ، كما لا يقبل منه أن يكون تابعاً للباطل

ثم يعتذر بأن فلانا قاده أو وجهه أو طلب منه . . فقد صحَّ عن ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - موقوفاً: «لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا»^(٧)، وفي صحيح البخاري، عندما سئل عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه - عن الصلاة خلف إمام الفتنة، فقال: «الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإن أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم»^(٨) وأما ما شاع في البلاد الإسلامية في هذه الأيام من أن الإنسان «يمشي مع الأغلبية على أي حال» أو ليس له «أن يمشي ضد التيار أبداً كان» أو يقول: «هل أصلح الكون وحدي؟!»، كل ذلك لا علاقة له بالإسلام، فهي أمثال ومقولات نشرها المستبدون والمفسدون لخدمة أغراضهم، ولكي تستمر الشعوب في موضع التبعية والخضوع . .

والأخطر من هذه الأمثال والمقولات المنتشرة، هو أن تطوَّع بعض نصوص الشرع لخدمة أغراض ومصالح فاسدة، ومن ذلك ما شاع بين المسلمين من الاستشهاد بقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ إذا هم المسلم بتنفيذ حكم الله تعالى فيه معصية لأمر حاكم أو سلطة مدنية، حيث قد يعرضه ذلك لعقوبة الحاكم أو السلطة المدنية، فهذا استشهاد خاطيء من شأنه أن يربي المسلمين على الخوف من السلطة والخضوع للباطل، والانصراف عن النهوض بالمسؤولية، وهذا هو الذي يؤدي إلى التهلكة، وفي ذلك نزلت الآية . . فقد قال أسلم أبو عمران: «غزونا من المدينة، نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل منا على العدو، فقال الناس: مه مه! لا إله إلا الله! يلقي بيديه إلى التهلكة! فقال أبو أيوب الأنصاري: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، . . فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥) .

فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة، أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد، قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية^(٩).

٢ - أما المسؤولية الجماعية فتتضمن كل الفروض العينية التي لها علاقة بالجماعة فضلاً عن الفروض الكفائية، والتي إذا لم يتصد للقيام بها من هو أهل لها، وجب على الجماعة تهية الظروف والأخذ بالأسباب لتحقيق ذلك، وإلا أئمت الجماعة. . وقد يترتب على عدم القيام بمثل هذه المسؤوليات هلاك الجماعة في الدنيا قبل الآخرة. .

ومن أوضح النصوص التي تكشف لنا عظم هذه المسؤولية والنهوض بها، قول الرسول ﷺ: (مثل القائم على حدود الله، والمدفن فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذونا، فقالوا: لو أننا خرقتنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم، نجوا ونجوا جميعاً)^(١٠)

وهذا الحديث العظيم يحتاج إلى شرح مستفيض حتى يستوعب استيعاباً كاملاً، وهذا مالا يسمح به المقام هنا، ولكنني ألقت النظر هنا إلى تطبيق عملي لهذا الحديث وذلك: حين يقول المستبدون والمسيطرون على مقاليد كثير من الأمور بالباطل: نحن الذين نملك القول والتوجيه وعلى الرعية السمع والطاعة بلا اعتراض. . . وحين يقول رجال الإعلام المعاصر: نحن الذين نملك وسائل التثقيف والبت بالطريقة التي نريد، وعلى العامة أن يسمعوها وينظروا ولا ينكروا. . . وحين يقول الأمراء والرؤساء والملوك: نحن نملك التدبير والتسيير بالأسلوب الذي نرى، دون ضوابط من شرع أو خلافه، وعلى الرعية القبول والتنفيذ. . . حين يقول هؤلاء وأولئك وأولئك وأمثالهم ما يقولون، وحين يقول الظالمون مثل

قولهم، فإن شأن هذه المجتمعات هو شأن السفينة المخروقة ولا بد أن تغرق ويغرق من فيها جميعاً..

وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة فهم قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥)؛ فقد يقول قائل: إن الله تعالى يأمرنا أن نفكر فيما يجب علينا أفراداً ولا ننظر إلى المجتمع الذي نعيش فيه، فليس علينا مسؤولية تجاهه؛ فهذا فهم خاطيء، حيث ورد عن الصديق رضي الله عنه ما يبين معنى هذه الآية حيث قال: (يا أيها الناس إنكم تقرأون قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ»... وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»^(١١)).

وعليه فلا بد لنا معشر المسلمين أن نستشعر مسؤوليتنا الفردية والجماعية، وأن نحس بل ندرك وحدة مصلحة المسلمين، فنأخذ على أيدي الظالمين - من أي نوع كان الظلم؛ للنفس أو للآخرين -، وذلك ابتغاء نجاة الجماعة كلها.. أما أن نترك هذه المسؤولية خوفاً وطمعاً، أو استهتاراً وتهاوناً.. فسوف تحدث الكارثة التي تقضي على الجميع..

إنني أتوجه في هذه الأيام والساعات العصيبة بل والحاسمة في حياة العرب والمسلمين؛ أتوجه إلى الحكام والمحكومين، الرجال والنساء، مسلمين ومسلمات ومؤمنين ومؤمنات، أتوجه إلى الجميع بالحث على استشعار المسؤولية واستيعاب ما يدور في بلاد العرب والمسلمين، وما يدور خارج بلادهم وله علاقة بوجودهم، لا بد من إدراك كل ذلك من منظور الإسلام العظيم الذي أنزله الله تعالى رحمة للعالمين..

ثم يلزم بعد ذلك اتخاذ الأسباب والوسائل للنهوض بهذه المسؤوليات على أكمل وجه، فلا يقبل من مسلم صادق الإيمان أن يقف من الأحداث الكبرى موقف

العاجز، الذي يلتمس الأعذار لتسويغ سلبيته وتفاعسه، وأما القول بأن السبل قد انسدت، ولم يعد أمامنا إلا التسليم بالأمر الواقع، والقبول بموقف العاجز المقهور أمام قوى الباطل، فهو قول مردود، فكما يسعى الفرد لتحقيق مصالحه الشخصية، وكما تسعى الجماعات لتحقيق مصالحها المادية والدنيوية، لاند للجميع أن يتحركوا لتحقيق مصلحة الإسلام والمسلمين، وستفتح أمامهم السبل من خلال بحثهم وسعيهم الجاد والمخلص، وليس عليهم إلا أن يبذلوا في ذلك قدر الطاقة والوسع. . . ستفتح هذه السبل سبيلاً بعد سبيل. . . وهذا الذي أرشدنا الله تعالى إليه، بأن السبل تنفتح أمام المسلمين المجاهدين المهتدين بهدى رب العالمين، فقال تباركت أسماؤه: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ فهل من مجيب قبل فوات الأوان ١٩

- (١) جزء من حديث صحيح رواه الإمام مسلم في صحيحه باب تحريم الظلم، كما رواه أبو عيسى الترمذي برواية أخرى لا تقل عن درجة الحسن وأخرجه ابن ماجه في السنن بألفاظ قريبة من الترمذي.
- (٢) راجع ملخص الكتاب المنشور باللغة العربية في مجلة «المجلة» في عددها رقم ٥٣٧ بتاريخ ٢٩/٥/١٩٩٠.
- (٣) من بقايا الأيام، الأستاذ عصام العطار، الجزء الأول، الدار الإسلامية للإعلام بون - ألمانيا الاتحادية، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ١٣٩ - ١٤٤.
- (٤) «مال راجع» روي «مال راجع» عليك نفعه، وبيرحاء: حديقة نخل، طيب: عذب، برها: خيرها، ذخرها: نفعها وقت حاجتي إليها، ضعها: أي أفوض أمرها إليك.
- (٥) راجع صحيح الجامع الصغير وزيادته «الفتح الكبير»، تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، حديث رقم ٧١٧٧ والرواية الأخرى حديث رقم ٧١٧٦.
- (٦) رواه البخاري وغيره، راجع المرجع السابق حديث رقم ٤٤٤٥.
- (٧) راجع تخريج مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، حديث رقم ٥١٢٩.
- (٨) راجع صحيح البخاري بتحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، الإمامة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، دمشق سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج ٢ ص ٢٤٦، باب: إمامة المفتون والمبتدع، حديث رقم ٦٦٣.
- (٩) رواه أبو داود والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تعليقه على الحديث في صحيح سنن أبي داود، مرجع سبق الإشارة إليه، حديث رقم ٢١٩٣، صحيح.
- (١٠) رواه البخاري وغيره راجع المرجع المشار إليه في الحاشية رقم (٥) حديث رقم ٥٧٠٨.
- (١١) رواه الترمذي وأبو داود، راجع صحيح سنن الترمذي للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، حديث رقم ٢٤٤٨.